

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المُسْلِمُونَ

الاشتراكات

١٠٠ من سنة كاملة  
٦٠ من نصف سنة  
لطلاب وجنود الجيش  
٨ من سنة كاملة  
٤٠ من نصف سنة  
٢٥ من ثلاثة أعداد  
يضاف إليها أجرة  
البريد خارج القطر

صاحب الاختيار

ورئيس التحرير

سعيد رمضان

الإدارة :

٣٢ شارع النيل

بالروضة بالقاهرة

تليفون : ٢٤٤٥٥٥

مجلة إسلامية جامعة

أصدر مع غرة كل شهر محمدي

سنتها عشرة أعداد

أغسطس سنة ١٩٥٤

ذو الحجة سنة ١٣٧٣

## قَالَ سَيِّدُ الْأَرْوَاحِ !

في قداس مسائي أقيم في كنيسة الأرواح<sup>(١)</sup> في ٢٧ (يونيو) في لندن ، ونقلته  
محطة الإذاعة البريطانية ( بالتليفزيون ) ، أذيعت هذه ( التريمة ) التي نقلها بنصها :

« Let the song go round the earth  
Over lands where Islam's sway  
Darkly broods o'er home and hearth  
Cast their bonds away. »

وترجمتها :

دع الأغنية تدور حول الأرض  
فوق بلاد فيها سيطرة الإسلام  
ترقد بظلماتها فوق كل موطن وبيت  
اضربوا بهمودهم عرض الحائط

\*\*\*

لم أستغرب ذلك حين علمت به ، فإن سياسة لندن لم تزل دائماً سياسة العداء

للإسلام والمسلمين ، وقد صدق دجوفارا ( Djuvara ) وزير رومانيا يوم قال :  
« إن إنجلترا بعد سبعة قرون من زمان ( سانوتو Sanuto ) قد حققت لنفسها  
الأمل الذى كان يحلم به ( سانوتو ) » - والذى كتبه ( سانوتو ) فى كتابه  
سنة ١٣٠٦ م هو الدعوة إلى قتال المسلمين حيث وجدوا واستئصال دولتهم !

وليس شأنى فى هذه الصفحات أن أكتب مقالاً سياسياً عن عدوان الإنجليز ،  
أو عن سخافة ( الترنيمه ) التى عزفتها موسيقى كنيسة الأرواح ، ولكنى أريد  
أن أقرر حقائق أن نواجهها كما هى .

إن ترنيمه قداس لندن تعنى أولاً أن روح الحق على الإسلام سارية لم تقف ،  
فإذا علمت أن الذين رددوها واستمعوا إليها هم أفراد الأمة التى تجمل فى صدر ألقاب  
ملكها أنه حامى الإيمان المسيحى والكنيسة ، علمت « الحقيقة السوداء » وراء  
الاستعمار البريطانى فى حاضره وماضيه . . . . وفهمت كثيراً من دخائله منذ مؤامرة  
إنجلترا وحلفائها على خلافة آل عثمان : فى الثورة العربية على الأتراك ، وفى فلسطين  
وفى إفريقيا ، وفى العراق ، وإمارات الجزيرة ، وفى إيران ، وفى الهند قبل تقسيمها  
وبعده ، وفى الملايو ، وغيرها كثير ، وكلها بلاد إسلامية كانت « فيها سيطرة  
الإسلام ترقد بظلماتها فوق كل موطن وبيت » ! !

لقد تحدثت « المسلمون » عن هذه « الحقيقة السوداء » أكثر من مرة ، وجعلت  
بيانها من سياستها فى مخاطبة المسلمين وفى تفسير تاريخهم الطويل ، مع الإنجليز وغير  
الإنجليز ، وقالت فى مطلع سنتها الثانية ما تكرره اليوم لأنه من الحق الذى لا تبلى  
جده ، ومن الواقع الذى لا يزال فى قبضته ، حتى يأذن الله بنور يبدد هذا الظلام ،  
ظلام الحق الذى فضحه القداس لا ظلام سيطرة الإسلام !

قالت « المسلمون » :

إذا كان جهل الأمة الإسلامية بنفسها ورسالتها جعلها تنهالك أمام الفتنة العاتية  
والثقافة المسمومة التى نظمها مؤامرات أعداء الإسلام الكثيرين ، فإن جعلها بهؤلاء  
الأعداء قد مكّن لمؤامراتهم كل تمكين ، وجعلهم ينالون منها ويمبثون بها وهى  
فى غفلة تامة عما يراد بها . . . . وكم من عدو لبس لها ثوب صديق فأوته وأكرمه ،

بل وتلمذت عليه وأخذت عنه ، وربما وضعت موضع الزعامة وهو يبحث أصول عقيدتها ومقومات شخصيتها . . . لذلك كانت معرفة المسلمين لأعدائهم أساسا يجب أن يسبق كل خطة وأن تتعد به سياسة العالم الإسلامي . و ( العدا ) الذي عناه الإسلام والمسلمون قديم ، بدأت طلائع الإسلام في حجر نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكان وجهه السافر الصريح أنه عدا للعقيدة والدعوة ، ونكران للوحي وتحد لأمر الله عز وجل ، وكانت جريمة هذا العدا في ميزان أصحاب الدعوة جريمة بهذا المعنى « ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون » ، واستمرت الحركة بين العقيدة وأعدائها ولكن طبيعة الحركة بقيت واحدة لا تتغير : « الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ، فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا » . ولما حادت الحركة عن طبيعتها يوما في أنفس نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبهم الله بالهزيمة في أحد : « وعصيت من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم » .

وهكذا مضت معارك الإسلام واتصلت حلقاتها ، وتآلفت فيها على المسلمين قوى رعية ما أكثر ما اختلفت فيما بينها ولكنها اتفقت دائما على مطاردة الإسلام ، ولم تال جهدا في استئصال شأفته . وكتب تاريخنا من ذلك أسفارا دامية يمكن أن نجمل عنوانها الآية التي نسيها المسلمون : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » — وإذا صح أن بعضا من هذه القوى لم يفره بالعالم الإسلامي إلا خيراته وموارده الاقتصادية ، ولم يدفعه إلى الاعتداء عليه هوى ديني معان أو مستتر . . . إذا صح هذا ، فإن هؤلاء المعتدين لما لبشوا أن وجدوا دون مطامعهم المادية عقبة كؤودا يجب أن يحسبوا حسابها ، وجدوا دينا من نوع جديد ، وكتابا سماويا قويا صريحا غير الطالسم التي ألفوها . . . وجدوا قرآنا يتحدث عن العبادة كما يتحدث عن القتال ، ويحمل بذل الدم في سبيل الحق أعز القربات إلى الله . . . وجدوا نظاما لا يكتفى بالدعوة الجميلة النظرية إلى مكارم الأخلاق ولكنه يفرض لحاياتها حدودا رهيبية في قوانين الأمة ، ويحمل تطبيق هذه القوانين شرط صحة الإيمان ،

وجدوا شريعة تزرع في القلوب حبا عاليا لا يسمح بفرقة يستفيد منها غاصب ،  
وتكفل للمجتمع نظافة لا تبيح للمغريات أن تنال من تماسك الأمة شيئا ، وتشغل  
في المشاعر جذوة الويل لمن يستثيرها فيصلي نارها ...

ولو أن هؤلاء المعتدين أرادوا حقا أو تجارة بريئة ما عنام من كل ذلك شيء ،  
ولكنهم معتدون ؛ وللمعتدى ضراوة تفكر الحدود ، وغاية لا يدركها إلا بترويض  
فريسته حتى تستسلم له ، فكيف يسمح إذاً بسلطان دين خطير كالإسلام ؟ إن من  
مهمته إذا وجد الدين ذا سلطان أن يقوضه ، وإذا وجد نائما أن يقطع أسباب يقظته ...  
وهكذا يلتقي الأعداء جميعا في محاربتهم للإسلام وإن تباينت أساليبهم ، فلا إنجلترا  
أسلوبها ، ولا أمريكا أسلوبها ، ولا فرنسا أسلوبها ، ولهاولندا أسلوبها ، ولروسيا أسلوبها ،  
ولا إيطاليا أسلوبها ، ولا الحبشة أسلوبها ، ولا إسبانيا أسلوبها ، وللهندوك أسلوبهم ...  
وهلم جرا ... وهلم جرجرة .

وأنت حين تقرأ التاريخ في ضوء هذا المعنى تفهم أشياء كثيرة ، وحين تقرأ  
الواقع بعد ذلك تتجلى لك حقائق خطيرة . ترى مثلا - وهو مثل قريب - كيف  
قضت تركيا - حين كانت مقر الخلافة العثمانية - زمنا طويلا تعاني الرمن عداء الدول  
ومؤامراتها وكيف تألبت عليها قوى الدنيا من حرب إلى حرب ومن دسياسة إلى دسياسة ،  
ولكننا نرى تركيا نفسها بعد أن ذهبت عنها الخلافة ، وبعد أن سلخ أتااتورك أوضاعها  
من أحكام الإسلام وألبسها القبعة وحرمها من اللغة العربية ( وإن كان لم يستطع  
أن يقطع شجرة الإسلام من جذورها ، لأن جذورها في قلوب لا يحكمها الجيش  
والقانون وفي يد الله الذي أفضى إليه أتااتورك بما قدم وهو عنده الآن يلقى حسابه ) ..  
نرى تركيا في الأعوام الثلاثين الأخيرة سالمة آمنة لا يمتدى عليها أحد ، فإذا ذكرنا  
مع ذلك قول الله سبحانه : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم  
إن استطاعوا ! » لم يسمنا إلا أن نقول : صدق الله العظيم !

وقد حدثني رجل كبير في العالم الإسلامي ، وروى هذا الخبر معه ثلاثة آخرون  
كبار ، أن الذي قام به أتااتورك من إبعاد تركيا عن الإسلام لم يكن من بنات  
فكره ولا عقله المدهش ! ولكنها شروط أملت على الدول في لوزان ، ويعلم ذلك  
زملاؤه الكبار الذين لا يزال بعضهم حيا يرزق !

وقد عجب كثيرون حين استفتح الأستاذ الدكتور مصطفى الحفناوى محاضرته عن قناة السويس فى نادى الجيش المصرى بقوله : إنه وقع على وثيقة خطيرة تثبت أن اقتراح حفر القناة مشروع قديم للصليبيين أريد به أن تقام فى منطقة القناة دولة صليبية تمتد من بورسعيد إلى بولاق فى القاهرة لتمزق كيان الدولة الإسلامية . . . عجبوا من ذلك ، ولو أضاف الدكتور إلى ذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين اقترح عليه أن بحفر قناة تصل البحرين الأبيض والأحمر قال : أخشى على المسلمين من الفرنجة ، إذا لزاد عجبهم ، ولعلوا أن المحور الذى تدور عليه حوادث التاريخ محور آخر تماماً غير الذى تعلمناه فى منهج « دانلوب » ، ولأدركوا من ذلك أنه ما لم يتغير الأساس الذى قامت عليه معارفنا فى عهود النذل والحيرة ، وما لم تتقرر مناهج التعليم والتربية وسياسة الأمة كلها على فلسفة واحدة فى معرفة العدو والصديق ، وأساس المداواة وأساس الصداقة ، ما لم يتحقق ذلك كله فإن كل أمل سراب ، وكل الزهور والرياحين التى تأخذ الأبصار حيناً ، ليس يحملها إلا شوك ضارب الجذور ، لا تلبث هى أن تذبل عليه ثم تجف ، ويبقى الشوك القديم ليقض المضجع ويديم الأبدى النافلة . . .

\*\*\*

ثم ماذا كان فى سيطرة الإسلام حتى عدها أهل لندن سيطرة ذات ظلمات ؟ أينكر مؤرخ منصف أن الإنجليز كانوا يعيشون فى الأكواخ والجهالة يوم كانت حضارة الإسلام تظل بعلمها وعدلها غريب أوروبا ، ويوم كان قسس روما يتخرجون من قرطبة وغرناطة ؟

ألم يقل دجوفارا : « فى أواخر القرن الثانى عشر امتد سلطان العرب من الهند إلى الإطلنطى وصارت حضارة بغداد والبصرة أعلى وأرقى من حضارة إكس لاشبل وباريس » ؟

أوقد بلغ بنا النذل والضياع أن ينكر الإنجليز على الإسلام ماضيه ويمسخوه هذا المسخ ؟



الآن الإسلام أكرم المسيحية وشمل أهلها بعطفه وأعانهم لا يجدون غير العدل والمرحة في كنفه ؟ وقد فعل ذلك والساطان ساطانه والسيف في يده والشرق والغرب طوع أمره ؟

ألم يقل الأب ( ميشون ) ، ورد ذلك دو كاسترى وغوستاف لوبون :  
« إن من المحزن للأمم المسيحية أن يكون التسامح الديني الذي هو أعظم ناموس للمحبة بين شعب وشعب هو مما يجب أن يتعلمه المسيحيون من المسلمين » ؟

إذا كان مع انتشار الإسلام الحضارة  
وإذا كان مع سلطانه التسامح  
فأية ظلمات في سيطرته يا كنيسة الأرواح ؟  
شيئاً من العدل والحياة !

أتريدوننا أن نقارن بين ماض وماض ؟

لقد فعل ذلك من قبل وزير آل عثمان فأسكت نفراً منكم كانوا يجادلونه ،  
ويقوله اليوم وستسكتون كما سكتوا . . . قال : « إننا نحن المسلمين من ترك وعرب  
وفرس وغيرهم مهما بلغ بنا التعصب في الدين فلا يصل بنا إلى درجة استئصال شأفة  
أعدائنا ولو كننا قادرين على استئصالهم .

ولقد مرت بنا قرون وأدوار كنا قادرين فيها على ألا نبقى بين أظهرنا إلا من  
أقر بالشهادتين ، وأن نجعل بلداننا كلها صافية للإسلام ؛ فما هجس في ضمائرنا خاطر  
كهذا الخاطر أصلاً ، وكان إذا خطر هذا ببال أحد من ملوكنا كما وقع للسلطان  
سليم الأول العثماني تقوم في وجهه الملة ويحاجه مثل زنبيلي على أفندي شيخ الإسلام  
ويقول له بلا محاباة : ليس لك على النصارى واليهود إلا الجزية ، وليس لك أن  
ترجمهم عن أوطانهم . فيرجع السلطان عن عزمه امتثالاً للشرع الشريف .  
فبقى بين أظهرنا حتى في أبعد القرى وأصغرها نصارى ويهود وصابئة وسامرة  
ومجوس ، وكلهم كانوا وافرين ، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين .  
أما أنتم معاشر الأوربيين فلم تطيقوا بين أظهركم مسلماً واحداً واشترطتم عليه

إذا أراد البقاء بينكم أن يتنصر . ولقد كان في أسبانيا ملايين من المسلمين ، وكان في جنوبي فرنسا وفي شمالي إيطاليا وفي جنوبها مئات ألوف منهم ، ولبنوا في هاتيك الأوطان أعصراً مديدة ، وما زلتم تستأصلون منهم حتى لم يبق في جميع هذه البلدان شخص واحد يدين بالإسلام .

ولقد طفت في بلاد أسبانية كلها فلم أعر فيها على قبر واحد يعرف أنه قبر مسلم» فلما سمعوا هذه المقارنة بهتوا ولم يحيروا جواباً .

ويتضح لك مبلغ الحق فيما قاله وزير آل عثمان ، إذا أضفت إليه ما ذكره المحقق شكيب أرسلان رحمه الله في تعليقاته على كتاب<sup>(١)</sup> لوثرروب ستودارد (Lothrop Stoddard) :

« لقد زحف الصليبيون واستولوا فعلاً على بيت المقدس في ١٥ يوليو سنة ١٠٩٩ وكان منهم ما كان من الفظائع التي يعترف مؤرخوهم بها في جميع الأماكن التي اجتازوها من بلاد الإسلام ، ولما سقطت القدس في أيديهم بعد قتال شديد استمر زيادة على أربعين يوماً ارتكبوا في ظل القبر المقدس — الذي زعموا أنهم زاحفون لتطهيره من أيدي أمة غير طاهرة — من القتل العام والتفغن في القسوة ما يندر وجود مثله في تاريخ البشرية من أول ما عرف التاريخ .

قال المؤرخ أبو الفداء : ولبت الفرنج يقتلون في المسلمين بالقدس أسبوعاً ، وقتل من المسلمين في المسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألف نفس ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن جاور في ذلك الوضع الشريف ، وغنموا مالا يقع عليه الإحصاء ، ووصل المستنفرون إلى بغداد في رمضان فاجتمع أهل بغداد في الجوامع واستغاثوا وبكوا حتى إنهم أفطروا من عظم ما جرى عليهم . »

\*\*\*

من التعصب منا أيها الناس ؟ ومن المعتدى الضارى ؟

\*\*\*

أيها المسلمون :

لسنا ندعوكم بهذه الكلمات إلى عدوان ، ولكننا ندعوكم إلى أن ترفضوا العدوان ، وإلى أن تعرفوا لدينكم حقه ولأنفسكم حقها ، وحسبكم ما ضيعتم من عمركم وكرامتكم ، فاتقوا الله في تاريخ كريم لا يزال بين أيديكم ، وفي ميراث أعزه الله ومسخته قوى الظلم على أعينكم . . . واستبينوا حقيقة المعركة التي عشم هذه القرون في أتونها ، وتسלحوا لها بسلاحها .

سعيد



شهادة

إن قوة الإسلام السياسية الكبرى هي في إعطائه لمختلف الشعوب والناصر ذلك الاشتراك في التفكير : أى في قيامه على مبدأ التآليف بين أفكار مختلف الشعوب أو الناصر المتمذهبة به .

إن القوانين المدنية المنفصلة تمام الانفصال عن القوانين الدينية في الغرب ليست منفصلة عند المسلمين التابعين لأحكام القرآن . وفي اعتقاد المسلمين أن كل قوة مصدرها الله ، وأن هذه القوة يجب الخضوع لها واحترامها كيفما كانت نتائجها لأنها تمثل إرادة الله ...

« غوستاف لوبون »



# الدَّعَايَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

١ - نقصد بالدعاية الإسلامية نوعين من الدعاية ، أولاها الدعاية إلى الوحدة الإسلامية وجمع شمل المسلمين والتواصى بينهم بالحق والصبر ، كما وصف الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الصالحين في قوله تعالى : « والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » .

والنوع الثانى من الدعاية الدعوة إلى الإسلام بين الجاهلين به ، والتعريف به لمن لم يعرفوه ، وتأليف قلوب الذين لم يألّفوه ، وقد نكروه وما عرفوه .

٢ - ولقد قصرنا معشر المسلمين فى النوعين من الدعاية وأهملناها حتى صارت الدعوة إليهما عجبا من العجب ، وأمرأ غريبا فى ذاته ؛ بل حتى صارت الدعوة إليهما تحتاج إلى مهارة فى الدعاية ؛ وبهذا ضعفت معانى الإسلام ، وصارت حقائقه الخالدة غرائب غير مألوقة ، وعجائب غير معروفة ، وصار الداعى إليها عُرضَةً لسخرية الساخرين ، واستهزاء المستهزئين ، وكأنه لا يدعو بدعاية القرآن الكريم ، وينطق بأوامره ، وكأن أحدا لم يقرأ قوله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » وكأن أحدا لم يعرف أن أخص صفات هذه الأمة ، وأفضل مزاياها ، ومناط عزها ، وطريق خيرها — أن تكون أمة بالمعروف ناهية عن المنكر ، كما قال تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » .

٣ - وإن أخص أنواع هذه الفريضة الخالدة ، فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هى فى هذين الأمرين : الدعاية إلى الوحدة المقدسة ، والدعاية إلى الإسلام بين جاهليه .

وقد أفضنا القول في الدعوة إلى الوحدة في مناسبات شتى ، ولن نغفل من تكرار الدعوة إليها ما دام المسلمون منقسمين ، وما دامت الأرض قد توزعتهم ، وما دام أعداؤهم يريدونهم نهبا مقسوماً ؛ ويتربصون بهم الدوائر ، ويريدون أن يلتهمهم قسماً قسماً ، وكلما رأوا الجمع تتقارب أجزاؤه والشمل يلتئم دسوا بينهم من يفرقهم ، ويدعو إلى التردد والهزيمة في صفوفهم ، ثم صاحوا صيحاتهم ليشجعوا دعاة الذعر ، حتى يكون أمر الأمة الإسلامية بدءاً وقد تفرقت حزائقي .

ما دامت الحال هي الحال ، فالدعوة إلى الوحدة بالقول والعمل واجب محتوم ، وفرض محكم ، لا يُخْرِجُنا عن الإنتم إلا أن نتحد ، ولا يسقط عنا الوزر إلا أن نجتمع .

٤ - وإنا نكتب هذا والحج مؤتمر الإسلام الأكبر منعقد ، ووفود البلاد الإسلامية في ضيافة الرحمن يؤدون النسك ، ويطوفون ببيت الله الحرام ، ويتنسمون النسيم المقدس في بلد الله الأقدس ، ويستشرفون معاني التنزيل في منازل الوحي ، ومهد النبوة الأولى ، ويتصورون محمداً صلى الله عليه وسلم وهو يمشي في بطحاء مكة ، يدعو إلى ربه مصابراً المشركين ، يؤذونه فيتحمل ، وبسخرون منه ومن دعوته ، وهو ومن معه عن لهُومهم ممرضون ، لا يبي عن دعوة ربه ، ولو تضافر الشرك ، حتى إذا خوطب من عمه أن يكف عن بعض ما يقول صاح قائلًا : « والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه ما فعلت » ويتذكرون وهم في هذه الدبارك النبوية الصحابة الأولين ، وهم يقاومون الشرك كله وقد حميت العصية الجاهلية ، فكانت جما يخرج من أفواههم ، ويجري بالأذى من أقوالهم وأفعالهم ، تذكروا آل ياسر وعذاب الجاهلية ، وتذكروا خبّاب بن الأرت ، وَوَدَّكَ ظَهْرَهُ يَكْوَى بِالْحَدِيدِ الحمى ، وهو لا يبي عن ذكر ربه ، ففي هذا الحرم المقدس ذكريات أولئك الصابرين ، وقد مستهم البأساء والضراء حتى زلزلوا كما قال الله تعالى : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا ، حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » .

حتى إذا قضى أولئك الحجيج ما قضوا في ربوع مكة ، وجاء يوم عرفة رأوا المجتمع الحسى الذى يجمع المسلمين ، ونذكروا وهم وقوف في عرفات موقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو يجمع أحكام الإسلام ، ويودع المسلمين ، ويستودعهم شريعته الأبدية ، ويدعوهم إلى أن يكونوا حفظة شريعته ، والداعين إلى كتابه وسنته ، وهو الذى كان يقول فيهم : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به إن تضلوا بعدى أبدا : تركت فيكم كتاب الله وسنة رسوله » .

٥ - في هذا المؤتمر الأكبر مظهر وحدة المسلمين فهل لنا أن نجعل ذلك المظهر حقيقة ؟ نعم إن ذلك ممكن ، بل سهل ، بل هو الحقيقة إن فهمنا الحج بمعناه ، وفهمنا أنه مجتمع الإسلام في كعبة الإسلام وقبله المسلمين ، ومكان الدعوة الأولى والصبر الأول ، والصدمة الأولى التى جعلت ذلك الصبر جليلا في معناه ، بعيد الأثر في مغزاه ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » ولقد كان النبي وصحابته من بعده يتخذون من الحج مؤتمرا يتبادلون فيه معاني الوحدة ؛ فأول حج بعد الفتح المبين كان في السنة التاسعة وقد تولى إمرته أبو بكر ، وفي الجمع الحاشد تليت سورة براءة ، وفيها قوانين القتال ، ونظام المعاهدات ؛ والعلاقات الدولية الإسلامية ، فكان المؤتمر سياسيا . وفي السنة العاشرة كانت حجة الوداع ، وفيها أعلن النبي صلى الله عليه وسلم تمام الإسلام ، ونزل قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأنعمت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً » ، وفيه أشهد النبي ربه على المسلمين مجتمعين بأنه بلغ دعوته ، ثم كان الخلفاء الراشدون من بعده يتخذون من الحج مؤتمرا إسلاميا .

فهل لنا أن نجعل من الحج مؤتمرا إسلاميا دائما مستمرا تتبادل فيه شئون الدين والاجتماع والاقتصاد والسياسة ؟ إنه يكون حينئذ هو طريق الوحدة أو بالأحرى هو حقيقتها .

٦ - هذه إشارة إلى الدعوة إلى الوحدة ، فلنتنقل إلى القسم الثانى وهو الدعاية إلى الإسلام ، لقد أهملنا ذلك الجزء فى الماضى إهمالا كبيرا ، وما زلنا على ذلك

الإهمال ، وهو فرض كفاية على جمهور المسلمين ، لقد نمنا في بلادنا ، واستنمنا منا من كان فرض الكفاية بالنسبة له فرض عين في هذا الباب ، استنمنا الذين كان عليهم أن يبشروا بالإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ، ولم يتكلموا عن غير المسلمين إلا بأنهم أهل النار ، فإن سألهم أهم علموا الإسلام على حقيقة حتى يكونوا جاحدين بعد أن عرفوا ؟ قال قائل المقصرين : إن عليهم أن يعلموا : أى أن على أهل أمريكا وأستراليا وكندا ، ومجاهل إفريقيا ، وشمال أوروبا وأهل الصين واليابان — على هؤلاء أن يعلموا الإسلام ، وهم مسئولون إذا لم يعلموه ، ونحن الذين نعلمه وعلينا واجب تبليغه لا تقصير منا إذا لم نعلمهم ، ولا ذنب علينا إذا لم نبينه لهم ، فالنعم لنا مع سكوتنا عن الدعوة لدين الله ، وبقاء جهل الجاهلين في جهلهم ، والجحيم لهم جميعا لأنهم لم يتعلموا العربية ، ويعرفوا القرآن الكريم والسنة النبوية ، والآراء الفقهية للتأبين والمجاهدين !! إنه منطق الكسل ، والتهاون ، بل الهوان .

٧ — إن علينا جميعا واجب الدعاية للإسلام ، والتبشير به ، والتعريف به بين الجاهلين ، لتقيم حجة الله عليهم ، ونسقط تعاملهم يوم القيامة ، وإلا فإننا نبوء بإثمهم وإنمنا ، وعلينا وزر جهلهم بمقدار علمنا ، ذلك لأن وزر الجاهل على العالم .

وإن الميثاق الذى أخذه الله تعالى على العلماء أن يبينوا علمهم للناس ، ويكشفوه للجاهلين يوجب علينا التبليغ . لقد آتانا الله تعالى علم الكتاب ، فحق علينا أن نبين لغير المسلم ما اشتمل عليه ، وإلا ما قمنا بحقه ، ولكان تقصيرنا نكثاً في عهدنا ، ونقضاً لميثاق ربنا ، ولقد قال رب العالمين في حقه على العلماء : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ، فبئس ما يشتررون » هذا ميثاق الله أخذه على أهل الكتاب الذين سبقونا أن يبينوه فنبذوه وراء ظهورهم ، وهذا الميثاق علينا أشد وأوثق فإذا

صنعنا به ؟ أهملناه ، وتركناه وراء ظهورنا ، ولم نقم بحق الدعوة الواجب علينا ،  
فحق علينا ما حق عليهم :

٨ - إننا بإهمالنا الدعوة إلى الإسلام قد كتمنا شريعة ربنا خفت علينا اللعنة  
الم نفق عن أنفسنا غبار الكسل ، ونسير في سبيل الدعوة المحمدية ، ومعنا كتاب  
الله وهو الحجة لنا ، والحجة علينا . وإن الله قد صرح بأن الذين يكتُمون العلم  
بعد الهدى والبيئات ملمونون في الأرض والسماء ، فقد قال تعالى : « إن الذين يكتُمون  
ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم  
الله ، وyleنهم اللاعنون ، إلا الذين تابوا وأصلحوا ، ويتوبوا ، فأولئك أنوب عليهم  
وأنا التواب الرحيم » .

إننا بإهمالنا الدعوة إلى الإسلام تنطبق علينا هذه الآية الكريمة ، ونستحق  
لعنة الله ولعنة من في الأرض ومن في السماء ، لأننا كتمنا البيئات والهدى بعد أن  
بين الله تعالى في الكتاب ما بين ؛ ولا خلاص لنا من هذه اللعنة إلا أن نتوب  
عن تقصيرنا ، ونصلح من أمورنا ، ونتجه إلى الدعوة إلى دينه وكشف حقيقته  
للذين يجهلون .

٩ - وإن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم كتابه : « ادع إلى سبيل ربك  
بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله  
وهو أعلم بالمهتدين » وإن هذا الخطاب خوطب به كل مؤمن خوطب بالقرآن  
من لدن البعث المحمدي إلى الآن ، فليس الخطاب به شخص محمد صلى الله  
عليه وسلم ، لأنه لا دليل على الخصوص النبوي ، وما دام لا دليل على  
الخصوص فالخطاب به الموم ، لموم التكليف ، ولموم الرسالة المحمدية ،  
ولخطابة الأجيال كلها بها .

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع بعد أن بين الرسالة ، وأشهد  
ربه على البيان : « ليعلم الحاضر منكم الغائب » وكل عالم بالرسالة المحمدية هو من



حاضريها وكل من لم يعلم الرسالة على وجهها فهو من الغائبين عنها ، فحق على الحاضرين المالمين أن يعلموا الجاهلين الغائبين .

١٠ - إن فضل الهداية للضالين لا يعدله فضل ، وثوابها لا يعدله ثواب ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم : « لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم » .

وإن الباب مفتوح لهذا النوع من الثواب غير المحدود ، فإن الجاهلين بالإسلام لا يحصون عدداً ، وحق على الناس أن يفتحوا لهم باب النور ليهتدوا ، وأن يكشفوا عنهم ظلمات الجهالة ليدركوا ، وأن يدعواهم بدعاية الرحمن لتتم رحمته ، وتضيء الكون هدايته ، ويكون الإسلام في وسط تلك الدُّجَنَةِ الخالكة رحمة للناس كافة ؛ ويتحقق قول الله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » .

إن هذا النور الذي احتبسه المسلمون في ربوعهم ، فلم يملنوه ولم يكشفوه يجب أن يضيء الكون كله ، وعسى أن يكون من بين الضالين الذين تراءى لهم اليوم من يحبهم الله ويحبونه ، كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعز على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم » .

١١ - إن في أمريكا وأوروبا وأستراليا وكندا عقولا تتطلع لحقائق الإسلام تريد معرفتها ، فهل نضن عليهم بالبيان . وإن المبشرين من المسيحيين يسرون ووراؤهم حكوماتهم لتنصير الزنوج من أهل إفريقيا ويمدحهم أقوامهم بالمون من المال وكل مايسهل لهم دعايتهم ، فهل يسوغ أن يقف المسلمون ؟

لقد وجدنا بعض علماء السودان قام بحق هذه الدعاية ، فكان الإسلام أسرع

إلى القلوب ، وأهدى لنفوسهم ، ولكن ضاقت يده ، فكان حقاً على الأغنياء أن يمدوا أمثاله ممن يقومون بحق الإسلام عليهم ، وبميثاق العلم الذي أخذه على العلماء أن يبينوا ، ولا يكتموا .

وإن الهيئات العلمية في أمريكا تريد معرفة الإسلام من أهله ، ومن ذويه وربما لا يكون لنا مطمع في هذه الهيئات ولكن أليس من حق الإسلام علينا أن نبينه ؟ فإن لم يؤمنوا فإنا علينا من إنهم بعد أن أدينا واجبنا ، والله سبحانه وتعالى قال لنبيه الكريم : « إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء » .

١٢ — وإن هنا أمراً له خطر وشأن ، ذلك أننا علمنا أن أهل ألمانيا يتطلعون إلى الإسلام ، ولا تتطلع إليه الهيئات العلمية على أنه نوع من الدراسات ؛ بل يتطلع له الشعب ليؤمنوا ، حتى لقد قال قائل إنه في بضعة أيام أسلم في مدينة واحدة نحو أربعة آلاف ، وإن الإنجليز عندما علموا ذلك أدركوا مغبته عليهم وعلى استثمارهم ، فأرادوا أن يعلم الألمان الإسلام الشائه ، لا الإسلام الحقيقي ؛ ولذلك أرسلوا إليهم بعموثاً من القديانية يعلمونهم الإسلام . أفيسوغ لنا اليوم أن نسكت ؟ إن علينا أن نعمل ، وعلينا من الآن أن نكون الطائفة التي تنفر إلى الألمان ممن يجيدون الألمانية ، وإلى الأمريكيان ممن يجيدون الإنجليزية ؛ وعلى أهل الرأي أن يمدوا بآرائهم ، وذوى المال أن يمدوا بمالهم ، وعسى أن تقوم الحجّة للإسلام في هذا العصر ، كما قال على رضى الله عنه : « لا يخلو وجه الأرض من قائم لله بحجة » وإن تعليم أولئك الإسلام واجب في أعناقنا لا نخلو من إنهم التقصير إلا إذا قننا بتبليغ رسالة الله تعالى وتبيين دينه ، وتعليم الناس حقيقته وما يدعو إليه ، ولنذكر كلمة على بن أبي طالب رضى الله عنه : « لا يسأل الجهلاء لم لم يتعلموا ، حتى يسأل العلماء لم لم يتعلموا » اللهم هيء لنا سبيل الرشاد ، ووفقنا إلى الحق والسداد .

# بين الدين والطائفة

للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي

المراقب العام للاخوان المسلمين في سوريا

من أبرز ظواهر الحياة الاجتماعية في تاريخ الإنسان ، تدبته العميق الذي يجعله خاضعاً لإله قدير ، يرجو رحمته ويخاف عذابه ، ومن أبرز خصائص الديانات أثرها الكبير في توجيه الأفراد والجمهير ، وسلطانها على مشاعرهم واتجاهاتهم . ومن هنا لعبت الديانات دوراً كبيراً في قيام الحضارات ونشوء الأمم واندثارها ، ولا تكاد تجد ديناً خلا من النزعة الإنسانية الرحيمة ؛ فكل الأديان تأمر بالرفق ، وتحث على الحب ، وتنهى عن الخصام ، وتمقت القسوة والأذى ، وهي بذلك عامل من أكبر العوامل في نشر السلام بين الناس ، وقيام الثقة والتعاون بينهم في شئون معاشهم ومعاملاتهم .

وأدياننا الكبرى<sup>(١)</sup> في الشرق العربي والإسلامي تلتقي عند هذا الغرض في كثير من آدابها وشرائعها .. وحسبك من المسيحية قول السيد المسيح عليه السلام : « أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم » وما كان يديه المسيح من عطف على الفقراء ورحمة بالبائسين وصفح عن المسيئين . ولقد عاش ما عاش من حياته بين الناس وهو مثلهم الأعلى في الحب والرحمة والتواضع والبر بالناس أجمعين .

أما الإسلام فلا تكاد تحصى آيات القرآن في الحب والصفح والرحمة وعمل الخير للناس ، ولا تكاد تحصى الأحاديث التي تحث على ذلك وترغب فيه ، وحسبك من الإسلام قول الله تبارك وتعالى في وصف عباده المؤمنين « وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الإنسان أخو الإنسان أحب أم كره » وقوله أيضاً « الخلق كلهم عيال الله فأحبهم إليه أنفهم لمياله » .

(١) إنما تستعمل كلمة الأديان على قاعدة قول الله « لكم دينكم ولي دين » .  
« المسلمون »

وهكذا تتعاون الديانات على نشر الوثام بين الناس ، وترغيبهم في العيش معا إخوة متحابين ، لا يمتدى بعضهم على بعض ، ولا يسفك بعضهم دم بعض ، ولا يحول اختلاف دياناتهم دون اطمئنانهم جميعاً على حرياتهم وأموالهم وأعراضهم وكفءاتهم . بل إن القرآن لينص على أن اختلاف الديانات والحكم بينها فيما تختلف فيه ، يجب أن يوكل أمره إلى الله وحده ، والله وحده هو الذى يحكم يوم القيامة بين الناس فيما كانوا فيه يختلفون . يقول الله تبارك وتعالى : « وقالت اليهود ليست النصراني على شيء وقالت النصراني ليست اليهود على شيء . وهم يتلون الكتاب ، كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم .. فאלله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » بل إن الإسلام ليقرر أن اختلاف الناس في أديانهم وعقائدهم أمر طبيعي من ضرورات الحياة ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم » .

بهذه الروح اتسع تاريخ الديانات عندنا لتسجيل أروع الصفحات في تاريخ التعاون على الخير بين أبنائها تعاوناً أدى إلى خير الإنسانية وتقدمها . وهل ننسى ما كان لتعاون الإسلام والمسيحية في العصر العباسي من آثار عظيمة في العلم والثقافة ؟ وهل ننسى كيف كان يجتمع المسلم والمسيحي والمجوسي في حلقة الخلفاء ينثر كل منهم ما في كنيسته من علم وأدب ، والخلفاء يصفون عليهم جميعاً ظليلاً من الرعاية والإكرام ؟ في تلك المصور كان من أبرز أخلاقنا الاجتماعية تعاوننا على بأساء الحياة وضرائها مع اختلاف أدياننا وعقائدها ؛ حتى اشتركتنا في كثير من الحروب جنباً إلى جنب نقاوم الغزاة ونطرد المعتدين .. ولست أرى في التاريخ أروع من موقف شيخ الإسلام ابن تيمية حين جاء إلى أمير التتار يطلب إليه إطلاق سراح الأمري ، فأجابه الأمير التتاري إلى إطلاق سراح أمري المسلمين وحدهم دون المسيحيين واليهود ، فأبى شيخ الإسلام رحمه الله وقال : لا بد من إطلاق سراح هؤلاء أيضاً فإنهم أهل ذمتنا لهم ذمة الله ورسوله ، فأطلق الأمير سراحهم جميعاً .. هذا مثل من أمثلة السمو في أخلاقنا الاجتماعية يومئذ ، تعلم منها أننا فهمنا الدين أداة خير وعنوان تعاون وأساس خلق كريم ، من أبرز خصائصه الشهامة والنجدة والوفاء بالمعهد . وهذا هو الدين .. وهذه هي روح الدين في حقيقته الإلهية الخالدة ..

ويوم يتقلب الدين مفهومًا ضيقًا يتميز بالحقد والعداء ، ويبعث على النزاع والشحناء ، وينتهى إلى الفتن وسفك الدماء .. يومئذ يكون الدين قد تحول إلى طائفية ذميمة تنذر بشر المواقب وأوخم النتائج ..

في أوائل القرن الثامن الهجرى شهدت مصر أعواماً سوداء ذهبت بمشرات المعابد ، وأودت بمشرات النفوس ، وملأت القلوب حقدًا والأرض فساداً .. فقد أساء بعض الموظفين من أهل الذمة معاملة المسلمين وأذاقوهم ألواناً من الذل والمهانة ، فقابلهم جهلة المسلمين بإحراق بعض الكنائس ، فرد عليهم بعض المتمصبين من الكهان والرهبان بإحراق بعض المساجد .. وكادت تتحول القاهرة إلى أتون مستمر لولا أن حزم السلطان أمره ، وعاقب مسببي الفتنة من الجانبين بما أطفأ نارها .. وتلك هى الطائفية السوداء .. إن إساءة الموظف المسيحي لمواطنيه المسلمين أمر لا تدفعه إليه مسيحيته ، وإنما تدفعه إليه طائفية الجاهلة بسماحة المسيحية وأخلاقها .. وإن إحراق المسلم لبعض الكنائس أمر لا يدفعه إليه إسلامه ، وإنما يدفعه إليه جهله بالإسلام ومبادئه في معاملة غير المسلمين .. وإن إحراق الكاهن المتعصب لبعض المساجد أمر لا يدفعه إليه المسيح ، وإنما يدفعه إليه جهله بروح المسيح وآدابه وأخلاقه .. وهكذا تنبعث الطائفية من الجهل ، ثم تنمو وترعرع في تربة الحقد والاستغلال ..

وإذا كان في تاريخنا بعض المآسى الدينية ، فليس مردها إلا إلى الطائفية المنبعثة من الجهل ، وإذا كان في تاريخنا بعض الحروب الدينية ، فليس مردها إلا إلى الطائفية المستثمرة من العدو .. وهل ننسى حوادث الستين ، وكيف كانت الدول الاستعمارية الكبرى هى التى تؤجج نيرانها ، كل دولة تؤيد طائفة .. حتى دمرت الطوائف بيوتها بأيديها ، وشوهت جمال أرضها بجهل عامتها واستغلال زعمائها ..

وإن من الحق أن نجهر بأننا لا نزال نعيش في أجواء الطائفية البغيضة في كثير من الأحيان .. بل إن في بعض البلاد الغالية من أرض الوطن العربي موجة من الطائفية البغيضة التى ترى إلى استعباد طائفة لطائفة ، وطرده طائفة لطائفة من جميع دواوين الدولة وأراضيها .. وفي بعض البلاد النائية من الوطن الإسلامى تتحكم الأقلية فى الأقلية تحكما لا بد أن ينتهى إلى الإبادة أو الردة أو التشرد .. فما علة هذا ؟ وما سببه ؟ ومن الذى يستفيد منه ؟ وما طريق القضاء عليه ؟



أما إنه مامن شك في أن العلة هي الجهل بالدين ، وأن السبب ماتوارثناه من خلق اجتماعي ذميم ، وأن الذي يستفيد منه هم أعداء الأمة من المستعمرين والطفنة والظالمين ، وأن العلاج الوحيد أن يذكر الناس جميعاً بالمبادئ الإنسانية العالية في كل دين . .

إن كثيرين يظنون أن علاج هذه الطائفية المدمرة هي دعوة الناس إلى ترك أديانهم . . وليس أبعد في الوهم والخطأ والضلال من هذا الظن . . فما كانت الأديان يوماً وسيلة حرب ولا أداة خراب ولا باعثة شقاء وفناء . . وهما هي تعاليم الأديان في كتبها المقدسة : أين يجد الناس فيها ما يدعو المؤمنين بها إلى أن يحترقوا مخالفيهم ويمتدوا عليهم ويسلبوهم أموالهم وأعراضهم وهناءتهم ؟ . . بل متى ابتليت أمتنا بهذه الطائفية الذميمة ؟ أفي عصور الخير والمجد ؟ أم في عصور الضعف والانحطاط ؟ أفي عهود الدين الأولى ؟ أم في أيامه الأخيرة ؟ . . أيوم كان الناس مستمسكين بتعاليمه أم يوم انحرفوا عنه ولم يتقيدوا بأوامره وزواجره ؟ . . إن الجواب عن هذا لا يختلف فيه اثنان ممن يقرأ التاريخ . . فالؤمنون الأولون الصادقون كانوا أوسع الناس صدورا ، وأحسنهم أخلاقا ، وأكرمهم معاملة ، وأكثرهم وفاء . . فهل ذلك إلا لأن دينهم يأمرهم به ولو أمرهم بغيره لفعلوا ، وألا تكون الطائفية الحاقدة وليدة الجهل بالدين لا العمل به ولا الوقوف عند حدوده ؟

ثم ألا تكون الدعوة إلى ترك الدين كملاج للطائفية ، غفلة قاتلة لا تقع فيها أمة واعية ؟ . .

إن الفرق بين الدين والطائفية هو فرق ما بين العلم والجهل ، والحق والباطل ، والخير والشر ، والإيمان والمصيان .

الدين إخاء وتعارف ولقاء . . والطائفية عداا وتقاطع وجفاء .

الدين حب ورحمة وسلام . . والطائفية كره وقسوة وخصام .

الدين وفاء وحسن خلق وطيب نفس وسماحة يد . . والطائفية غدر وسوء خلق

وخبث نفس وقذارة يد . .

الدين شرعة الله ورسالته ، والطائفية شرعة الشياطين ووسوستهم .

الدين هداية الرسل إلى الله وطريق الناس إلى الجنة . . والطائفية قيادة الأشرار إلى الدمار ، والطريق المستقيم إلى النار . .

هذا هو الفرق بين الدين وبين الطائفية ، وهو فرق عمت أنباؤه على كثير من الزعماء ورجال الأحزاب ودعاة الإصلاح ، فحاربوا الدين وهم يظنون أنهم يحاربون الطائفية ، وكرهوا دعوة الدين وهم يظنون أنها دعوة إلى الطائفية . . وما دروا أنهم بذلك يجردون الأمة من أقوى أسلحتها للقضاء على الطائفية وما تجر وراءها من بلاء وشقاء . .

ولئن جاز لأحد أن يبرر الدعوة إلى ترك الدين لأنه أسبيء استعماله ، فقد جاز لكل إنسان أن يدعو إلى ترك الطب لأنه أسبيء استعماله ، وإلى ترك الأدب لأنه وضع في غير موضعه ، وإلى إغلاق معاهد العلم لأنها انحرفت بكثير من طلابها عن طريق الهدى والرشاد . .

إن الانحراف بالحق لا يبرر المطالبة بإلغائه ، وما من حق في الدنيا إلا وقد شابه من الأغراض ما شوه جماله . . أفترى نظامنا النيابي وما أصابه من تعثر في خطواته يبرر لأحد أن يؤمن بحرية الفكر وحق الشعب ، وكرامة الفرد بأن يطالب بإلغائه ليقوم مقامه نظام استبدادي يحمل الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، إن على الذين يحاربون دعوة الدين على وجهه الصحيح لثلا تؤدي إلى عصبية طائفية شوهاء أن يقدروا ما تتعرض له الأمة من الأخطار المادية والخلقية والفكرية حين تجرد من دينها ، فلا يحجز بعضها عن بعض وازع ولا رقيب ؟ . . وكم تطفئ في قلوب الناس من جذوة مشتعلة تبعث على التضحية والفداء حين تحتاج الأمة إلى البذل والفداء . . إن الدين يعوض الشهيد عن حياته الدنيا جنة عرضها السماوات والأرض ، فبماذا تعوض الدعوة إلى ترك الدين الشهيد عن أولاده وحياته ولذته ونعمته ؟ . . إنني لا أنصور انتحارا جماعيا أشد في قبحه وشناعته من ترك الأمة لدينها وإعراضها عن الله . . ولست أنصور خلقا اجتماعيا كريما يمكن أن تتخلق به الأمة بعد أن تطرح دينها وراءها ظهريا ، فإلى أية هاوية ننحدر إليها بجهلنا التفرقة بين الدين والطائفية ؟ !

من القرآن . . أسس الحياة القوية المجيدة :

## الانحراف عن العقيدة

الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق بجامعة القاهرة

( ٥ )

### وأخيراً الأزهر

من نافلة القول أن نذكر أن للأزهر خارج مصر سمعة لا يتناول إلى قريب منها أى معهد علمى فى مصر أو غير مصر ؛ فهو ملء سمع الزمان وبصره ، وهو قبلة العالم الإسلامى كله ، ومنه يلتبس المسلمون جميعا النور والهدى ويطلبون العلم والعرفان .

وهو إلى هذا كله ، يستقبل الآلاف من التلاميذ من أدنى العالم الإسلامى إلى أقصاه ؛ يقدون إليه عطاشا لينهلوا من موارده الخافضة ، ويرجعوا إلى بلادهم ، وقد أثرت قلوبهم وعقولهم من هذى الإسلام وثقافته فيكونوا هناك معلمين ومرشدين هادين .

وهذا المعهد الجليل كان كذلك قرابة ألف عام لأن رجاله وأبنائه كانوا يعرفون رسالته ، وكانوا يعملون جاهدين على النهوض بها ؛ هذه الرسالة التى تلخص فى حفظ شريعة الله وسنة رسوله ولغة القرآن ، وفى توجيه الأمة سواء السبيل بالقيام على أخلاقها وتقاليدها الطيبة .

ومن ثم ، كان علماؤه ملتقى أبصار الأمة الإسلامية ، ومفزع الجميع فى الشدائد والملمات . ذلك بأنهم كانوا يمتدقون تماما قوله تعالى : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ؛ كما كانوا يعملون على أن يكونوا كما قال الله جلّ ذكره فى آية أخرى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

وقد اقتضاهم هذا وذاك ، أن يثقوا أولاً بأنفسهم وبما اضطلموا به من أشرف رسالة ، كما جعل الأمة تلتف حولهم وتنق بهم ، فلا تقدم على أمرهم أمراً ولا يخالفون لهم رأياً ، لا فرق فى هذا بين حاكم ومحكوم ، والتاريخ شاهد صدق على ما نقول .

صمد الأزهر إذاً على الزمن قرابة ألف عام ، وهو ماجأ الأمة وكتبها ومنارتها كما قلنا ، لأنه كان يؤمن برسائله ويعمل جاهداً على القيام بها حقاً ، ولأن رجاله كانوا يحملون من هذه الرسالة « عقيدة » قوية خالطت قلوبهم فهم يعيشون لها وبها . ولكن ماذا حدث بعد هذا ؟ ثم ماذا صار إليه الأزهر وهو المعهد الذى لا ينفى معهد آخر غناه ؟ كان أن انحرف الأزهريون عن رسالة معهدهم الجليل وجعلوها أو تجاهلوا ، وأن ضعفت عقيدتهم فى أنهم أصحاب رسالة ، وأنهم أهل الإمامة والتوجيه فليس يليق بهم أن يكونوا أتباعاً لغيرهم .

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا الوضع الذى رضينا لأنفسنا ، أن أخذت الأمة وأولو الأمر فيها فى خلق معاهد أخرى تقوم بما عجز الأزهر عنه ؛ فكان أن أنشئت « دار العلوم » عام ١٨٧٢ م ، ثم مدرسة القضاء الشرعى عام ١٩٠٧ ، ثم تلا ذلك إنشاء الجامعة المصرية . ومن ثم ترحل الأزهر عن الصدارة ، وأخذ فى التددل حتى صار على ما نرى الآن !

إن من الحق أن نقرر أن معنى إنشاء هذه المعاهد أن الأزهر بألاف طلابه صار — على الأقل فى رأى ولاية الأمور حينذاك — غير قادر على سد الحاجات المختلفة التى يتطلبها العصر ، وأن الأمة اعترمت أمراً فى تولية وجهها شطر معاهد أخرى ، معاهد لا تهمل القديم ولكنها تأخذ من الحديث بنصيب وافر .

ومن هنا نفهم سبب ثورة الأزهريين عام ١٩٠٨ ، أى عام إنشاء الجامعة المصرية ، إذ رأوا فى هذا الحدث إبعاداً لهم عن الصف الأول فى الحياة العلمية والحياة العامة التى تتبعها . وكان من هذا أن جدوا فى طلب الإصلاح العلمى ، وظلوا ملحين فى إجابة ما سموه « مطالب الأزهريين » ، وكان علاج هذا الحال صدور القانون رقم ١٠ سنة ١٩١١ الذى يعتبر بحق أخطر قانون صدر لإصلاح الأزهر فى تلكم الأيام ، هذا القانون الذى درست وتخرجت من الأزهر على أساسه .

على أنه لا ينبغي أن يفهم أحد مطلقاً أنه لم يبق للأزهر، بعد أن أنشئت هذه المعاهد والجامعات الحالية بمختلف كلياتها، رسالة عليه أن يؤديها؛ إن له مع هذا رسالة لا يستطيع غيره من المعاهد والجامعات أداءها، وإن عليه أن يفهمها ويقدرها قدرها، وإن على أبنائه أن ينهضوا بها.

وهذه الرسالة الجليلة التي لا يستطيع أن ينهض بها على الوجه الأكمل غير الأزهر، ذات جوانب مختلفة ونواح عديدة، ونكتفي أن نشير من هذه الجوانب والتواخي إلى ما يأتي :

١ - إعداد جيل من المسلمين يتميز بفهم الإسلام وتعاليمه الحقة قبل أن يختلط بها ما اختلط من ضلالات نسجها الزمن طوال العصور التي مرت بالإسلام، كما يتميز بمدم الاحتفال بالدنيا وزينتها بقدر ما يحتفل بقول الحق يصدع به وإن غضب لذلك الرؤساء والكبار؛ حتى يقول الواحد من هذا الجيل كما قال أسلاف لهم من قبل : إن الذي يمد رجله لا يمد يده !

ومتى تم إعداد هذا الجيل، يكون على الأزهر أن يستعين به في الدعاية للوطن الأكبر والتبشير بالإسلام ونشره في كافة أرجاء الأرض. فإن النفر من هؤلاء يكون سفراء لمصر وللإسلام خيراً من سفراء السياسة الرسميين؛ إذ ينفذون بأقوالهم وأعمالهم إلى القلوب، ويوصلون إلى أوساط وبيئات لا يستطيع السفراء الرسميون الوصول إليها، ومن ثم يكون لهم من التأثير الحاسم ما لا يكون مثله لهؤلاء الرسميين.

٢ - إن الأزهر في هذه الأيام يقف والزمن يسير، والحياة لا تعرف الوقوف ولا الجمود؛ فمليه إذاً أن يحيا الحياة التي يحياها الناس، وأن يعرف مشا كل هذه الحياة ويعمل لإيجاد حلول لها تتفق مع شريعة الله وروح الإسلام، وبذلك يستطيع أن يبدع في ميادين الاجتماع والاقتصاد والقوانين المدنية والتجارية والإدارية والدستورية. أريد أن أقول إن للإسلام فكرة كاملة عن الحياة الطيبة التي تليق بأمة ناهضة لها ماضٍها المجيد ومستقبلها الذي ينتظرها، فعلى الأزهر أن يبرز للناس هذه « الفكرة » في كل نواحي الحياة، وبهذا لا نكون تبعاً لهذا المعسكر أو ذاك من المعسكرات التي تتقاسم العالم فيما بينها.

٣ - إننا ننادي في كل مناسبة بأن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان



ومكان ، وهذه قضية صادقة حقا ، ولكن علينا أن نبين للناس هذه المصاحبة . ولن يكون لنا هذا ، فى النواحي المدنية والاقتصادية ونحوها ، إلا إذا عرفنا الفقه الإسلامى الأصلى : أى فقه الصحابة والتابعين ، وحينئذ سنجد أن فى هذا الفقه متى عرفناه وعرفنا طريق الإفادة منه حلولاً للمشاكل التى نمانها وتقابلنا هنا وهناك ، هذه المشاكل التى لجأ رجال القانون — فى سبيل حلها — إلى القوانين الأجنبية حين رأونا معشر الأزهرين جامدين ومتخلفين عن موكب الحياة الحالية المتطورة دائماً . وتفصيلاً لذلك الإجمال ، أريد أن أقول : إن علينا معشر الأزهرين أن نبين للناس حكم الله ودينه الصحيح الذى ارتضاه للعالم كافة فى سياسة المال وتوزيع الثروات ومنابتها وأصولها الأولى ، وحكمه فى علاقة العامل بصاحب العمل وعلاقة الفرد بالدولة ، وحكمه فيما نرى من معاملات مالية واقتصادية تجرى فى البنوك والأسواق العامة الرسمية وغير الرسمية ، إلى غير هذه النواحي المختلفة والمجالات المديدة التى ترخر بها الحياة التى نحيها .

٤ — ولن يكون لنا هذا أو شىء منه إلا إذا أعيد تنظيم الأزهر وكنياته ، وبخاصة كلية الشريعة ، هذه الكلية التى لا تستحق الحياة إلا إذا أخذت عدتها لإعادة الحياة للتشريع الإسلامى وتنميته لمصلحة لهذا المصر بعد أن طال به الجمود والوقوف . وهذه مهمة جليلة وشاقة بيقين ، ولكن يجب القيام بها علينا معشر رجال الأزهر ، ومن أولى بهذا من كلية الشريعة !

هذه بعض جوانب رسالة الأزهر كما أفهمها ، والأزهر بحالته الحاضرة قد لا يستطيع أن ينهض بها كاملة ، ولكن عليه أن يفهمها أولاً ويثق بنفسه وأبنائه ثانياً ، والأمة أن تضن عليه بالمعون فى سبيل القيام بها .

\*\*\*

هذا ، والنتيجة العامة لهذه الفصول ، وهى كلها تتصل بالعقيدة وخطر الانحراف عنها ، هى وجوب أن نعود للدين من جديد ، وأن نثق بهذا الدين وبقوميتنا وشريعتنا وتقاليدنا الطيبة ، وأن نثق أيضاً بأنفسنا وبأننا خير أمة أخرجت للناس . ومتى وصلنا إلى هذا ، كان ما بقى هيناً ، وكان أمر بعث الإسلام وأمته ميسوراً ، والله ولى التوفيق .

# غارثور

للأستاذ أحمد مظهر العظيمة

مفتش الدولة ورئيس تحرير مجلة النदन الإسلامي بدمشق

قصدت في الرابع والعشرين من ذى الحجة لعام ١٣٦٣ مع إخوان لي غارثور الذي أتاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الخميس غرة ربيع الأول وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه ليقبض فيه حتى تسكن قريش عن طلب محمد صلى الله عليه وسلم بعد ما رأت رأيها الخاسر للتخلص منه ، وقد كان لهما ما أرادا .

وقفت بنا السيارة بعد عشرين دقيقة من خروجها من مكة المكرمة ، فإذا نحن تلقاء جبل أشم صليح وعمر ذى صخور رواهص سوداء ودكناء ورقشاء ، فصعدنا ثنية لم تطل ، أقيمت على جانبيها الصخور صوي<sup>(١)</sup> ، سلكناها يسر ، ثم صرنا نتصب عرقاً مع أن الشمس لم تكن قد كست سفح الجبل بما نسجت من غلائل النور والحرور .

قال أحد الرفاق حينئذ : كنا نصعد قلعة حلب ، فأجابه الأستاذ الشيخ أحمد البيانوني : بل نصعد قلعة الهجرة ، ولقد أصاب ، فما النار إلا قلعة اعتصم بها الحق حتى أتيج له أن ينطلق إلى مقاصده السامية فقد :

تفجّر من غار النبي شريعة غدت بمدّها ربيّ بلادٍ وأعصر  
فله ما أسمى ديناً ومرشداً وأغلاك دستوراً به الحق يزهر

بلغنا الغار بعد ساعة وعشرين دقيقة ، استرحنا خلالها قليلاً ، ومسنّا لغوب زاد إعجابنا بالرسول وصاحبه اللذين كانا يأخذان بالأسباب تحقيقاً للخطة الصادقة ، فأما هذا الغار .

وانظر بعض الأخذ بالأسباب كما جاءت بهذه المناسبة في كتب السيرة : قال ابن إسحق : ( أمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول

(١) الصخور المتراصة الثابتة .

الناس فيها نهاراً ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاراً ، ثم يريحها عليهما [ يأتيهما ] إذا أمسى في النار ، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمتت بما يصلحهما<sup>(١)</sup> .

وقال صاحب الطبقات الكبرى : ( استأجر أبو بكر رجلاً من بني الدبل هادياً خبيثاً<sup>(٢)</sup> يقال له عبد الله بن أريقط ، وهو على دين الكفر ، ولكنهما أمناء ، فارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة ، فأخذ بهم ابن أريقط يرتجز ، فما شعرت قريش أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> ) .

هكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضى الله عنه يأخذان بالأسباب فيضربان للناس الأمثال في الحيلة والحذر في مواطنهما ، وكثير من المسلمين غافلون اليوم : يفهمون التواكل توكللاً ، ويحسبون الغفلة من سلامة الصدر والتسليم للقضاء !

وعجيب إحياء الأمكنة التاريخية ذكرياتها في نفوس زائريها ، فقد تصبح تلك النفوس مواطن تردح فيها حوادث التاريخ ازدحاماً ، وبكاد ذو الحس المرهف يسمع كلاماً . وقد وصلنا إلى النار فرحين ، فإذا الآمال تتمدد ، والقوى تتجدد ، فلا عناء ، ولا وعثاء ، وما مسنا من لغوب . وصلنا إلى النار الذي قلت فيه :

حُيِّت يا غار يا مأوى الرسول لقد      حفظت ديناً أنار الدهر والحقبا  
وقت برهان صبر وانتظار هدى      ثنى على المصطفى الهادى ومن صحبا  
فأنت أجمل في عيني وفي خلدي      من روضة سكرت أغصانها طربا  
وسبح الطير في أفيائها غردا      ورتخت نفحات الزهر مكتنبا  
وأين أين رياض الأرض ناضرة      من غار صبر رسول الله قد وهبا !

وصلنا إلى النار : الشيخ أحمد البيانوني ، والشيخ الطبيب عمر خياطه ، والشيخ عبد الرؤوف أبو طوف ، وكاتب هذا المقال ، وآخر لم يحضرني اسمه الآن ، ودخلناه ،

(١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٩٨ .

(٢) ماهراً خبيراً بالطرق يهتدى لها .

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ٢١٤ .

وكأننا لقينا بعد الليل النهار ، بل كأننا طوينا القرون القهقري ، فإذا نحن ممن نعموا برؤية الرسول وأصحابه وجهاده الأول ، واكتحلت قلوبهم لا عيونهم فقط بطلعة الرسول الهادي البشير والقمر المنير . فله كم يسدى الخيال الجوال من كريم الصنيع لدويه حين يمدح بما يؤملون ، ويصلهم بمن يرجون ، ويهون عليهم بعض مرارة الحاضر الأليم بلقيا الماضي العظيم .

كان ذكر الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والثناء والصلاة عليه لا تفتقر عنها ألسنتنا وقلوبنا ، وكأن كل شيء في الغار الصامت القائم تلقاء فسحة صغيرة إزاء بابه ، وكأن كل صخرة بين الرضام العظام المحيطة به ، وكأن كل حصاة من حصباء الأرض أو ذرة من رمال الجبال ، وكل هبة من نسيم النداء ؛ تناجينا وتحدثنا عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهجرته وجرأته فرحة منشدة ، وكأن التاريخ مخلوق واع حتى كان يرانا ولا يأذن أن نراه بل أن نسمع منه سماعاً فضلاً يختلف عما كنا نقرأ بأنه كلام مخلوق حتى من لسان وشفتين لا كلام قلم مثبت على ورق .

وبدت من قريب وعلى مدى بعيد جبال وهضاب ونجاد كثيرة يشرف الغار عليها ، وكأنها العالم ، وكأن الغار المشرف عليها قائدها وخطيبها ، وكأن تلك الصخور الاندفاعية الروائع رمزاً للاندفاع العربي الإسلامي العالى العظيم الذى شهده التاريخ بعد الهجرة ، ويريد أن يشهده اليوم بعد أن رقدت عزة المسلمين رقدتها .

\*\*\*

جاء الغار زائران هنديان ، عانقتهما عناق المحبين على غير معرفة إلا معرفة الإخاء الإسلامى الذى آخى بين المؤمنين جميعاً ، وكان حضورهما معنى شاخصاً لهذا الإسلام الذى لفّ الأرض ، فكان لزاماً على كل أبيض وأسود أن يتخذة دون سواء ديناً .

مكثنا في الغار جميعاً قعوداً متراحين ، ولبننا حيناً نتلو من القرآن الكريم ما نتلو ، ونردد من الصلاة على الرسول ما نردد ، فإذا انتصب أحدهنا قائماً كان لزاماً عليه أن ينحني قليلاً لأن ارتفاع الغار دون طوله . وطول الغار نحو ثلاثة أمتار ، وعرضه يزيد على متر ، وله من الجهة المقابلة لدخله طاقة لعلها التى عنها أبو بكر إن لم

يكن عنى مدخل الغار نفسه إذ قال : يا رسول الله : لو أن بعضهم طأطأ بصره لآنا !  
وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم حينئذ : اسكت يا أبا بكر ، اثنان الله ثالثهما ،  
فأنزل الله تعالى : « ثانی اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن  
إن الله معنا » .

\*\*\*

تحدثت الآن عن زيارتنا غار ثور ، وما الكلام على الوقفة الكبرى على عرفة ،  
حيث وقف عشرات الآلاف من المؤمنين الوافدين من أقطار العالم ، الوردون إلى  
محراب الإسلام ، المحتشدون لنداء الفريضة ، المحتفدون<sup>(١)</sup> إلى مطهر النفوس ومسمع  
الدعاء المحاب ، المعزون بالأخوة الكبرى ، الفخورون بالعروة الإسلامية الوثقى ،  
الخالصون لجلال اتفاق الأمة على المبدأ الصدق ، وروعة عمل الجماعة للأمر الإلهي  
الشامل ، الفرحون بتعاقب القلوب المؤمنة وامتزاج الأوراح الطمئنة ، وائتلاف  
الأحاسيس بالحقيقة ، واشتراك الآمال المنتظر فوزها ككرة أخرى .

لا لست بمحدث الآن عن أولئك الذين وقفوا على عرفة تعرف في وجوههم  
نضرة التقوى ، وتكاد تلمس حولهم نفحات الرحمة ، ويبش لخيرهم الوادى الجديب ،  
يتصافحون فتماس القلوب ، ويتمارفون وكل طائفة من بلد عنق إلى طائفة من بلد  
آخر ، فكان لقاءهم لقاء خلان وإخوان ، ويتساءلون عن أحوالهم فكانهم من  
وطن لا أوطان ، ويتناصحون فيفيض الإخلاص ، وتتجلى المودة وتتداعى الرغبات  
العذاب ، وتترأى الحياة التقية المريزة الرشيدة بين ترديد ( لبيك اللهم لبيك ... )  
وما عسى أن أتحدث ، وأنحدث ، والذكريات الطيبة المباركة أعظم من أن  
يتسع لها مقال أو يجمعها مجال .

فأعظم حكم الحج وأحكم آثاره بين من يقدرها قدرها ، فلا يحسبون الحج  
زهة في بستان ، وهم لا يعرفون زهة الروح والوجدان .



## من نماذج البطولة في الإسلام

الأستاذ محمد خلف الله

عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية

لم يخلُ عصر من عصور الإسلام ، ولا قطر من أقطاره ، من رجال نقشوا على صفحات الزمن أترا من آثار البطولة . وأكثر ما تجده هؤلاء في ميادين الجهاد ، ورد المدوان ، وإزالة المظالم ، والجهار بالحق في وجه سلطان جائر ، ومقاومة نوازع الهوى ، وبذل النفس والنفيس ذوداً عن الوطن ، أو دفاعاً عن العقيدة ، أو تثبيتاً لدعائم الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية .

وقد حَفَلت كتب الدراسات الإسلامية بذكر لا تنفد من أدب البطولة ، في نواح يُذكرنا إياها ما نشهده اليوم من آيات العزة القومية ، ومواقف الرجولة والإباء ضد الطغاة والمتجبرين . وسأعرض هنا نموذجين اخترتهما من حياة الأندلس الإسلامية في القرن الرابع الهجري :

أولهما قاض صدع بالحق ، فلم يرع فيه جانب خليفة أو سلطان . وثانيهما عصاميٌّ ولي الحكم فعدل في الرعية ، وكف جور حاشيته عن الناس . أما القاضي فنذر بن سعيد ، الذي ولي قضاء الجماعة بقرطبة ، أيام عبدالرحمن الناصر ؛ فأظهر العدل ، وقبض الجور ، ورفع الحق ، وخفض الباطل ؛ وكان مهيباً صلياً صارماً ، غير جبان ولا عاجز ، ولا مراقب لأحد من خلق الله في استخراج حق ورفع ظلم .

استمر في القضاء إلى أن مات الناصر ، ثم ولي ابنه الحكم فأقره ، وفي خلافته استعفى مراراً فما أعنى . وتوفى بعد ذلك ، لم يحفظ عنه مدة ولايته قضية جور ، ولا عُدت عليه في حكومته زلة .

وكان غزير العلم ، كثير الأدب ، متكلم بالحق ، متبيناً بالصدق ، له كتب مؤلفة في القرآن والسنة والورع ، والرد على أهل الأهواء والبدع ؛ وكان خطيباً بليغاً وشاعراً محسناً .

فمن مواقفه الخالدة مع الخليفة الناصر ، أن الناصر كان كَلِماً بعمارة الأرض ، وإقامة معاملها ، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان ؛ فأفصى به ذلك إلى أن ابنتى مدينة الزهراء ، وبذل جهده فى تنميقها ، وإتقان قصورها ، وزخرفة مصانعها ؛ وانهمك فى ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات . فأراد القاضى « منذر » أن يفض منه بما يتناوله من الموعظة والحكمة والتذكير ، فابتدأ فى أول خطبته بقوله تعالى :

« أتنبون بكل ربيع آية تمبثون ، وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون ، وإذا بطشتم بطشتم جبارين . . . » إلى آخر الآيات . ثم بعد أن وفى هذه النقطة انتقل إلى قوله تعالى : « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرَف هار . . » إلى آخر الآية . وأتى بما يشاكل المعنى من التخويف بالموت ، والدعاء إلى الزهد ، وأسهب فى ذلك كله ، وأضاف إليه من آى القرآن ما يطابقه ، وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ؛ حتى خضع الناس واعترفوا وبكوا ، وأعلنوا التضرع إلى الله تعالى ، وأخذ خليفهم من ذلك بأوفر حظ ، وقد علم أنه المقصود به فسكى وندم على ما سلف له . إلا أنه وجد على منذر لغلظ ما قرعه به ، فشكا ذلك لولده الحكم بعد انصراف منذر ، واستشاط غضباً فأقسم ألا يصلى خلفه صلاة الجمعة . وقال له ابنه الحكم : فإلى الذى يمنحك من عزل « منذر » عن الصلاة بك ؟ فزجره أبوه وانتهره ، وقال له : أمثل منذر بن سعيد فى فضله وخيره وعلمه — لا أم لك — يُمرّل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشيد ، سالكة غير القصد ! هذا ما لا يكون ؛ وإنى لأستحيى من الله ألا أجعل بينى وبينه فى صلاة الجمعة شقيقاً مثل منذر فى ورعه وصدقه ، ولكنه أخرجنى فأقسمت ، ولوددت أنى أجد سبيلاً إلى كفارة يمينى ، بل يصلى بالناس حياتنا وحياته إن شاء الله تعالى ، فما أظننا نعتاض منه أبداً .

وطلبه الخليفة الناصر مرة للاستسقاء — حين انقطع المطر واشتد القحط — وتسابق الناس للمصلى . فقال القاضى للرسول — وكان من خواص الناس — : ليت شعرى ما الذى يصنعه الخليفة سيدنا ؟ فقال له : ما رأينا قط أخشع منه

في يومنا هذا ، إنه منتبذ حائر ، منفرد بنفسه ، لا بس أخس الثياب ، مفترش التراب ، وقد رمده على رأسه وعلى لحيته ، وبكى واعترف بذنوبه ، وهو يقول : هذه ناصيتي بيدك ، أترك تعذب بي الرعية وأنت أحكم الحاكمين ، لن يفوتك شيء مني ! قال الحاكمي : فتهلل وجه القاضي منذر عندما سمع قوله ، وقال ! يا غلام : احمل المطر معك فقد أذن الله تعالى بالسقيا ؛ إذا خشع جبار الأرض فقد رحم جبار السماء . وكان كما قال . فلم ينصرف الناس إلا عن السقيا .

ودخل « منذر » مرة على الخليفة ، وهو في قبة قد جعل قمرمدها من ذهب وفضة ، واحتفل فيها احتفالا عظيما ، ظن أن أحدا من الملوك لم يصل إليه ، فقام القاضي خطيبا ، والجلس قد غص بأرباب الدولة ، فتلا قوله تعالى :

« ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجلنا من ي كفر بالرحن لبيوتهم سقفا من فضة وممارج عليها يظهرون ... » الآية وأتبمها بما يليق بذلك . فوجم الملك وأظهر الكتابة ، ولم يسمه إلا الاحتمال لمنذر بن سعيد لمعظم قدره في علمه ودينه .

وحضر معه يوما في الزهراء فقام أحد الشعراء فأنشد قصيدة ، منها :

سيشهد ما أبقيت أنك لم تكن مضيا وقد مكنت للدين والدنيا  
فبالجامع المعمور للعلم والتقى وبالزهرة الزهراء للملك والعليا

فاهتز الناصر وابتهج . وأطرق منذر بن سعيد ساعة ثم قال :

يا باني الزهراء مستغرقا أوقاته فيها أما تهمل !

لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل !

فقال الناصر : إذا هب عليها نسيم التذكار والحنين ، وسقتها مدامع الخشوع يا أبا الحكم لا تذبل إن شاء الله تعالى . فقال منذر : اللهم اشهد أني قد بثت ما عندي ولم آل نصحا .

\*\*\*

وأما النموذج الثاني فهو المنصور بن أبي عامر ، الحاكم المصامي ، الذي ولي مقاليد الحكم في الأندلس بعد انقضاء عهد الناصر والمستنصر وضعف ذريتهما ، ودامت دولته ستا وعشرين سنة ، غزا فيها اثنتين وخمسين غزوة ، واجدة في الشتاء

وأخرى في الصيف ، ولم تُهزَمْ له في واحدة منها راية . وقد حى الثغور وأعزَّ شوكة الإسلام ضدَّ أعدائه ، وهو القائل :

رَمِيتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَخَاطَرْتُ - وَالْحَرُّ الْكَرِيمُ بِخَاطِرِ  
وَمَا صَاحِبِي إِلَّا جَنَّانٌ مُشَبَّعٌ وَأَسْمَرُ خَطِيٌّ وَأَبْيَضُ بَارِ

فما يذكر في معرض التدليل على حسن رعايته للناس وإنصافه لهم : أنه بنى قنطرة على نهر قرطبة الأعظم ، انتهت نفقاتها إلى مائة وأربعين ألف دينار ، فعظمت بها المنفعة ، وصارت صدراً في مناقبه الجليلة . وكانت هنالك قطعة أرض لشيخ من العامة ، ولم يكن للقنطرة عدولٌ عنها ، فأمر المنصورُ أمناؤه بإرضائه فيها ، فحضر الشيخ عندهم فساوموه بالقطعة ، وعرفوه وجه الحاجة إليها ، وأن المنصور لا يريد إلا إنصافه فيها . فطلب فيها الشيخ عشرةً ديناراً ذهباً ، وكان ذلك أقصى أمنيته ، فاغتم الأمناء غفلته ونقدوه الثمن وأشهدوا عليه ، ثم أخبروا المنصور بخبره ، فضحك من جهالته بقيمة أرضه ، وأنف من غبنه ، وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل ، وتدفع له صحاحاً كما قال . فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً ، وصارت قصته خبراً سائراً . .

ومن مآثره التي تعد في تاريخه زيادته في بناء المسجد الجامع بقرطبة حتى يتسع للناس ؛ وأول ما عمله في هذا تطيب نفوس أرباب الدور الذين اشترت منهم للهدم لهذه الزيادة بإنصافهم من الثمن .

ويذكرون من علائم صلاحه أنه خطَّ بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره وغزواته ، ويدرس فيه ويتبرك به ، وأنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الفبار في غزواته ومواطن جهاده ، فكان الخدم يأخذونه بالناديل في كل منزل من منازلهم ، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة ، عهد بتصويره في حنوطه ، وكان يحملها حيث سار في أكفانه ، توقفاً لحلول منيته ، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب مكسبه من الضيمة الموروثة عن أبيه وغزل بناته ، وكان يسأل الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد فكان كذلك .

وكان عدله في الخاصة والعامة وبسط الحق على الأقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته أمراً مضرّوا به المثل : فمن ذلك أنه وقف عليه رجل من العامة بمجلسه ، فتنادى : يا ناصر الحق ! إن لي مظلمة عند ذلك الوصيف الذي على رأسك وأشار إلى الفتى صاحب الدرة — وكان له فضل على عنده — ثم قال : وقد دعوتني إلى الحاكم فلم يأت . فقال المنصور : اذكر مظلمتك يا هذا . فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما فقطعها الوصيف من غير نصف . فقال المنصور : ما أعظم بليّتنا بهذه الحاشية ! ثم نظر إلى الصقلي وقد ذهل عقله فقال له : ادفع الدرة إلى فلان ، وانزل صاغرا ، وساو خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق أو يضمك . ففعل ومثل بين يديه . ثم قال لصاحب شرطته الخاص به : خذ بيد هذا الفاسق الظالم ، وقدمه مع خصمه إلى صاحب المظالم ، ليُنْفَذَ عليه حكمه بأغلظ ما يوجب الحق من سجن أو غيره . ففعل ذلك ، وعاد الرجل إليه شاكرآ ، فقال له المنصور : قد انتصفت أنت ، اذهب لسبيلك ، وبقي انتصافي أنا ممن تهاون بمنزلتي ، فتناول الصقلي بأنواع من الذلة ، وأبعدته عن الخدمة .

ومن ذلك قصة لأحد فتيانه مع تاجر مغربي : فإنهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى المذكور ، وهو يومئذ أكبر خدَم المنصور ، وإليه أمرُ داره ، وحرّمه ، فدافع الحاكم ، وظن أن جأه يمنعه من إحلافه ، فصرخ التاجر بالمنصور في طريقه إلى الجامع متظلماً من الفتى ، فوكل به المنصور في الوقت من حمله إلى الحاكم فأنصفه منه ، وسخط المنصور على فتاه ، وقبض نعمته منه ونفاه .

ومن هذا الوادي قصة « محمد » فصّاد المنصور وخادمه وأمينه على نفسه ؛ فإن المنصور احتاجه يوماً للفصد ، وكان كثير التمهّد له ، فأنفذ رسوله إلى محمد ، فألقاه الرسول محبوساً في سجن القاضي ، لحيف ظهر منه على امرأته إذ ظن أن سبيله من خدمة السلطان تحميه من العقوبة . فلما عاد الرسول إلى المنصور بقصته ، أمر بإحضاره من السجن ، مع رقيب من رقباء السجن يلزمه إلى أن يفرغ من عمله عنده ، يرده إلى محبسه ، ففعل ذلك على ما رسمه ، وأراد الفاسد أن يشكو ما ناله ، فقطع عليه المنصور الكلام ؛ وقال له : يا محمد ! إنه القاضي ،

وهو في عدله ، ولو أخذني الحق ما أطق الامتناع منه . عُذ إلى محبسك ، واعترف بالحق فهو الذي يطلقك . فانكسر الخادم ، وزالت عنه ريحُ العناية ، وبُلّغت قصته للقاضي فصالحه على زوجته ، وزاد القاضي شدة في أحكامه .

وحدث أحدهم واسمه « شملة » قال : قلتُ للنصور ليلة طال سهره فيها : قد أفرط سيدنا في السهر ، وبدنه يحتاج إلى أكثر من هذا النوم ، وهو أعلم بما يحركه عدم النوم من علة العصب ، فقال : يا شملة : الراعى لا ينام إذا نامت الرعية ، ولو استوفيت نومي لما كان في دور هذا البلد العظيم عين ناعمة .

\*\*\*

هذه جوانب يعبق منها أرجُ البطولة من حياة رجلين : يمثل أحدهما جراءة العقل وجلال الدين والعلم ، ويمثل ثانيهما شجاعة القائد ، وعدالة الراعى المسئول عن رعيته .

### الاستقامة السياسية

هي التزام المشتغل بالسياسة جادة الصدق والنزاهة وإخلاق القويم في حياته العامة وفي حياته الخاصة أيضاً ؛ لأن الاستقامة السياسية غالباً ما تكون نتيجة للاستقامة الاجتماعية والشخصية ، وهي أساس السياسة الناجحة . وأقصد بالسياسة هنا السياسة الداخلية : أى علاقات الناس بعضهم ببعض في الشؤون العامة .

فلكى نهض البلاد وتتخلص من نقائصها يجب على الساسة والقائمين على الشؤون العامة أن يتذرعوا بالاستقامة والنزاهة .

« عبد الرحمن الرافعي »



## الحجّ إليها المستطيعون!

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد بهجة البيطار

أستاذ التفسير بكلية الآداب السورية

قال الله تبارك وتعالى : « إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ، وَهُدًى  
لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ  
الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » .  
( من سورة آل عمران )

وقال سبحانه : « وإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ  
إِبْرَاهِيمَ مَوْسَلًى ، وَوَعَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا لِّبَيْتٍ لِّلطَّائِفِينَ وَالْمَاكِفِينَ  
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » .

( من سورة البقرة )

فلا عجب إذا لبَّى المسلمون هذا النداء ، واستجابوا لله وللرسول إذا دعاهم لما  
يحبهم ، ويبت روح المودة والوئام فيهم ، وبقية ضرر التقاطع ، وفشل التنازع ،  
وقد افتتح تعالى الآية الأولى بذكر محاسن البيت وعظم شأنه ، فوصفه بأفضل الصفات ،  
منها أنه أسبق بيوت العالم إلى عبادة الله تعالى ، وأنه مبارك ، والبركة كثرة الخير  
ودوامه ، وليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ، ولا أديم ولا أنفع  
للخلائق ، ووصفه بالمصدر نفسه ، حتى كأنه نفس الهدى ، وفي وصفه بهذه الصفات  
ما يبعث النفوس على حجه ، وإن شطت بالزائرين الديار ، وتناوت بهم الأقطار .

وقد جعل الله الكعبة قبلة للمسلمين ، واختار لها البلد الأمين ، وشرفه بأن أقسم  
به في كتابه فقال تعالى : « وهذا البلد الأمين » وجعله حرماً آمناً ، لا يُسفك فيه  
دم ، ولا يروّع فيه مسلم ، ولا ينفر له صيد ، ولا تلتقط لقطته إلا للتعريف ، وجعل  
الحج البرور ماحياً للذنوب والخطايا ، موجياً لدخول الجنة بسلام ؛ ففي الصحيحين  
عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من أتى هذا البيت فلم

يرفت ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » وثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف في غيره » وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » (رواه الجماعة إلا أبا داود) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من أراد الحج فليتمتع ، فإنه قد يمرض المريض ، وتضل الراحلة ، وتمرض الحاجة » (رواه أحمد وابن ماجه) .

وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : « قلت يا رسول الله : هل على النساء من جهاد ؟ قال نعم ، عليهن جهاد ولا قتال فيه : الحج والعمرة » (رواه أحمد وابن ماجه وإسناده صحيح) .

وعن سعيد بن جبير ، وإبراهيم النخعي ، ومجاهد ، وطاوس : « لو علمت رجلاً غنياً وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه » وكان بعضهم له جار موسر ، فات ولم يحج فلم يصل عليه .

فالحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمناً ، وجعل الحج من بين أركان الإسلام فريضة العمر وأكل تعالى به الدين ، وأتم به النعمة ، وأنزل على نبيه صلوات الله عليه وسلامه : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » .

وإنما نزلت هذه الآية يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع سنة عشر ، والنبي صلى الله عليه وسلم بعرفات على ناقته المضيئة .

قال العلماء : إن الحج المبرور هو المقبول ، وهو الذي جاء على الوجه الأكمل باستيفاء الأعمال البدنية والقلبية ، ومن ذلك أن يكون المال الذي ينفقه حلالاً ، وأنشدوا :

إِذَا حَجَجْتَ بِمَالٍ أَصْلُهُ دَنَسٌ      فَمَا حَجَجْتَ وَلَكِنَّ حَجَّتِ الْعِيرُ  
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا كُلَّ طَيِّبَةٍ      مَا كُلُّ مِنْ حَجٍّ بَيْتَ اللَّهِ مَبْرُورُ

والحج المبرور الذي لا رفت فيه ولا فسوق — أي الذي ليس فيه كلام فاحش ولا خروج عن آداب الشريعة وحدودها — له في النفس وإصلاحها أكبر الآثار ،

لما فيه من الانقطاع عن الأهل والوطن والأعمال الدنيوية ، والإقبال على الله تعالى ، وإحياء شمائر أعظم المرشدين ، والوقوف في مواقف أفضل المرسلين ، والتذكر بتقلبهم في تلك المعاهد المقدسة تعبداً لله تعالى وتقرباً إليه ، وخضوعاً خالصاً لجلاله ، لاحظ للنفس فيه ؛ فمن حج مثل هذا الحج البرور ، واستغرق قلبه بمثل هذا الإحساس والشعور ، رُجِيَ أن يمحي ما كان علق بنفسه من آثار الذنوب الماضية ، وعند ذلك تنبث النفس إلى حسن الطاعة ، والاستقامة على طريق الهداية ، فتعمد إلى أداء ما عليها من الحقوق لله والناس بقدر الاستطاعة ، فيصح أن يقال : إنها ولدت ولادة جديدة ، وأن يقال : إن السيئات الماضية قد كُفِّرَتْ وسُتِرَتْ ، لأن الغفر والتكفير بمعنى تغطية الشيء ، وقد غُطِّيَتْ تلك الظلمة الماضية وسُتِرَتْ بهذا النور الحاضر .

### حِكْمُ الْحَج :

حِكْمُ الْحَج كثيرة ، وفي كل واحد من أعمال المناسك تذكرة للتذكر ، وعبرة للمعتبر ، وقد شرف الله البيت الحرام بالإضافة إلى نفسه ، ونصبه مقصداً لعباده ، وجعل ما حوله حرماً لبيته - تفخيماً لأمره ، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، وفي الطواف بالبيت تشبه باللائكة المقربين ، الحافين حول العرش ، الطائفين حوله ، وما القصد طواف الجسم فحسب ، بل طواف القلب بذكر الرب ، وفي السعي بين الصفا والمروة إظهار للخلوص في الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ، وفي الوقوف بعرفة وازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، باختلاف اللغات ، تذكر لاجتماع الأمم بين يدي الله تعالى يوم القيامة ، وفي رمي الجمرات طاعة للرحمن وانقياد لأمره ، وإرغام للشيطان وقصم لظهره ، وللرى أذكاراً مخصوصة يقصد بها ما ذكرنا ، فتكون الحصيات مع هذه الأذكار كالسبحة في إحصاء الأذكار الماتورة بالمدد المعين . وكانوا في الصدر الأول إذا عدوا يمدون على نحو الحصى والنوى .

هذا قليل من كثير من مقاصد الحج وحكمه وفوائده .

الله أكبر !

ما أفضل الحج وشد الرجال إلى المسجد الحرام في البلد الحرام ، موطن الرسول

ومبسط الوحى ومطلع النور ، وعاصمة الإسلام ومهوى أفئدة بنىه ، ومجتمع المسلمين كل عام من جميع أقطار الأرض ، على تمدد أجناسهم ، وتنوع لغاتهم وتناهى بلدانهم يجتمعون هناك وكلمة التوحيد تجمعهم ، وراية الإسلام تظللهم ، ولغة القرآن تربط بعضهم ببعض ، يجتمعون ليشهدوا منافع لهم روحية وجسدية ، دينية ودنيوية ، وليحكموا بينهم أوأصر المودة والرحمة « فضلا من الله ونعمة ، والله ذو الفضل العظيم » .

الله أكبر !

ما أجل رؤية الحجاج محرمين وملبدين ، والله درهم طائفين وعاكفين ، وراكمين وساجدين ، وساعين بين الصفا والروة من شمائر الله ، ومتعارفين متراحين فى بيت الله ، « يتنمون فضلا من الله ورضوانا ، سيامهم فى وجوههم من أثر السجود » .

الله أكبر !

ما اعتزموا شدة الرحال إلى مسجد الرسول وأداء الصلاة فيه ، وزيارة صفوة العالم ، وسيد ولد آدم ، سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم . جعل الله البيت المتيق مثابة للناس وأمنا ، وإنك لتجد من الأمن هناك ما يذكرك بعهـد الخلفاء الراشدين ، والملوك المادلين ، وحسبك أن زوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يفدون إليه الآن زرافات ووحـدانا ، ولو ذهبت امرأة وحدها لكانت آمنة على نفسها ومالها وعرضها .

وهذه الطائرات توصل قاصد البلاد القدسة فى ساعات وهذه السيارات تطوى البيد طيا ، وتحمل وفود الحج من ساحل جدة إلى مكة كل يوم بكرة وعشيا ، وقد قربت البعيد ، وخففت المشقة لا سيما على العاجز والضعيف ، وصار الركب من جدة إلى مكة يصل فى أقل من ساعتين ، من بعد ما كان يطوى فى الطريق مرحلتين ، ويركب من جدة إلى المدينة فى بضع عشرة ساعة ، من بعد ما كان يسير فى الطريق بضعة عشر يوما ، ويبلغها جوا فى أقل من ساعتين ؛ فبشرى لحجيج بيت الله الحرام بشراهم اليوم !

## الشرق العربي

من حرب عالمية إلى أخرى

للأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة

( ٣ )

بلغت أزمة « الشرق العربي » ذروتها في أعقاب الحرب العالمية الأولى باحتلال الفرنسيين « دمشق » في يوم ٢٨ يولييه عام ١٩٢٠ - وكانوا يحتلين « بيروت » منذ أواخر الحرب - فصاروا مستولين على كل سورية ولبنان . وكان الإنجليز ، وقد احتلوا « بئداد » منذ حروبهم مع الترك ، قد أعلنوا عزمهم على البقاء في العراق ليحكموه حكماً مباشراً ، مما أدى إلى انفجار الثورة الشعبية ضدهم في صيف ذاك العام ١٩٢٠ ، وكانوا مسئولين على « القدس » و « عمان » أيضاً منذ دخلتهما القوات الإنجليزية العربية عام ١٩١٧ ، وبعد مؤتمر « سان ريمو » في أبريل عام ١٩٢٠ قدروا استمرار احتلالها ، فصارت في حوزتهم فلسطين والأردن ، وذلك باسم الانتداب . أما مصر التي اشتعلت ثورتها منذ مارس عام ١٩١٩ للمطالبة بالاستقلال ، فإن الإنجليز لم يقبلوا أن يعترفوا بهذا الحق إلا مقيداً بحماية مصالحهم ، فأخفقت مفاوضات « سعد - ملر » التي تجرت في صيف ذاك العام ١٩٢٠ - وهي المفاوضات الأولى - وبقوا في احتلالهم « للقاهرة » و « السويس » والمدن الأخرى ، كما كانوا منذ قدموا بحجة حماية الدرر ، وما قدموا إلا لحماية مصالحهم الإمبراطورية . وهكذا وجد الشرق العربي أن النتيجة النهائية لتلك الحرب التي بذل فيها الكثير من جهوده ودمائه ، مما كان له أثر ظاهر في انتصار الحلفاء ، والتي وعده زعمائهم بإنها بأنهم إنما يحاربون من أجل تحريره ، دون أن يكون لهم غرض أو مطمع - وجد أن المال أنه قُسم إلى منطقتين : ( ١ ) منطقة

احتلال فرنسي ، و (٢) منطقة احتلال إنجليزي : الأولى تتكون من سورية ولبنان بأمرها . والثانية تشمل الأقطار العربية : العراق ، الأردن ، فلسطين ، فصر — عبر محور متصل ممتد من الشرق إلى الغرب . فإذا كانت الدولة العثمانية قد زالت فإن الشرق العربي لم ينل استقلاله وحرته ، بل وجد أنه عومل — بالرغم من مناصرته — كما تعامل دولة مغلوية ، وصار إلى استعباد حقيق فقد فيه كل شيء ، وكان عليه أن يظل خاضعاً لاستغلال وطغيان الأجانب : الإنجليز والفرنسيين . حالة كانت لا بد أن تثير السخط والغضب ، وتوجد أعمق شعور بالاستيلاء فلاغرو — إذن — إن كان الشرق العربي في تلك الفترة التي أعقبت الحرب — كما أسلفنا القول من قبل — ينلى كالأرجل ، ثائراً حائقاً على سياسة المستعمرين وأطاعهم ، ونكثهم للعهود وبنفاقهم ، وأن يهب ذاذاً عن كيانه مدافعاً عن حقه : فتورة في مصر ، وأخرى في العراق ، واضطراب في فلسطين ، وحرب بالشام ، وقلق في الحجاز ! ولقد أثبتت تلك الثورات بعد قليل للمستعمرين أن تدبيراتهم لن يمكن تنفيذها بسهولة ، وأن الشرق العربي ليس كما تصوروا — وكما يقولون في أمثلتهم — «لوزة» يسهل كسرها ! بل إنهم إذا كانوا يريدون أن يصروا على الاستمرار في سياسة المدوان نحوه ، فلا بد أن يعدوا أنفسهم لتحمل خسائر جسيمة في الأرواح والأموال . ولما كان الاستثمار لا يُقصد لذاته ، بل لما يأتي به من فوائد اقتصادية وسياسية ، وهذه لا تتحقق إلا في جو الهدوء والسلام ، فإن المستعمرين كان لا بد أن يفكروا في تغيير سياستهم تلك — عاجلاً أو آجلاً : فأما فرنسا فكانت قليلة الخبرة ، حديثة عهد بالشرق وروح الأمة العربية في مواطنها الأصلية ، وهي — كما عُرفت واشتهرت بذلك — مغرورة حمقاء ، تلجأ إلى أساليب الحمجية والبربرية ، وقد ظفرت بنسيمة طاملاً تمتتها دون أن تدفع من أجلها ثمناً ثقيلاً ، فما كانت تستطيع إذن في ذلك الوقت المبكر أن تقدر عواقب ما اقترفت يداها ، وكان لا بد أن تنقضي بضع سنوات حتى يحين الوقت الذي يُجبر فيه على مراجعة موقفها ، وتجدر أن الأصلح لها أن تأخذ في التراجع والانسحاب . فسيحل هذا الوقت حين يقوم الشام بثورته الكبرى ضد فرنسا في عام ١٩٢٥ ؛ ولكننا نرجى الحديث عنها إلى ما بعد قليل .



وأما إنجلترا فلأنها كانت أكثر حنكة لطول اتصالها بالشرق وهي أمة عملية تسودها العقلية التجارية ، وتمتدح بالواقع ، وكان حدوث الثورات العنيفة في منطقتها فكلفتها أموالاً وضحايا ، بينما كان الرأي العام فيها يطالب الحكومة بوجود الاقتصاد في النفقات وتسريح الجنود بعد ما كان في أيام الحرب ، وربما كانت أحست أيضاً في ذلك الوقت بشيء من وخز الضمير إزاء الأسرة التي قدمت لها أجل الخدمات ، وهي أسرة الشريف « حسين » ، فقد جازتها جزاء سنهاراً وكان الأمير « فيصل » في ذلك الوقت بعد أن طرده فرنسا مقيماً في إيطاليا يوالى إرسال الكتب إلى الوزارة الإنجليزية معاتباً ، مستنجداً . والأمير عبد الله منذ منفعته إنجلترا نفسها من الذهاب إلى العراق حيث كانت تنتظره فرصة كبيرة . وكان الحسين في الحجاز يحرق الأرم وهو يفكر في كنه الشرف البريطاني الذي وضع كل ثقته فيه ! وقد ذهب أمله أدراج الرياح في إنشاء دولة عربية كبرى متحدة يكون هو ملكاً عليها ، بل كان هو نفسه غير آمن في مركزه وهو يرى القوة السعودية تنمو على حدوده وقد عاهدتها إنجلترا — ربما كانت إنجلترا قد أحست أخيراً بشيء من وخز الضمير ففكرت في أن تسترضي تلك الأسرة ، وتنتفع في الوقت نفسه بما لها من نفوذ أو تأثير روحي أو من قوة مادية في تثبيت مركزها في الشرق العربي ، وفي إخماد أو تفادي الثورات ، وفي سياسة السكان بحيث يشعرون بالرضا ويدخل في روعهم أنهم يحكمون أنفسهم ، في الوقت الذي يُخدم فيه مصالح الإمبراطورية وتحكم بريطانيا بأيد عربية ومن وراء ستار — لكل تلك العوامل إذن مجتمعة وجدت إنجلترا أنه يلزمها أن تجري تعديلاً في سياستها ، وهو تعديل يتناول الأساليب دون الهدف ، ويتصل بالشكل والمظهر دون أن يغير الحقيقة .

هذه هي الأسباب التي دعت إلى عقد « مؤتمر القاهرة » . وقد بدأ انعقاده في يوم ٩ مارس عام ١٩٢١ . ورأت الوزارة الإنجليزية ضرورة حضور وزير المستعمرات نفسه « مستر تشرشل » لرأسه ويشرف على إصدار وتنفيذ قراراته . وحضر معه الضابط « لورنس » الذي كان مستشار وزارته للشئون العربية . وقد دعى وفد من العراق ، مؤلف من وزراء عراقيين والمسكرين الإنجليز ، فحضر

برئاسة «سير برسي كوكس» - الذي كان المندوب السامي البريطاني - وكان المندوب قد أُلِفَ وزارة عقب الثورة على رأسها السيد عبد الرحمن الكيلاني نقيب الأشراف، وهي أول وزارة عراقية. فحضر الوفد، ثم تقرر في ذلك المؤتمر إنشاء نظام جديد بالمراق: وذلك بأن تقام حكومة وطنية تكون ملكية دستورية، ويُتفق على مبايعة وتتويج الأمير «فيصل» ملكاً على المراق - وكان فيصل قد دعى من إيطاليا في أواخر العام السابق إلى لندن، للتشاور والاتفاق على تلك الخطة.

وذهب وزير المستعمرات أيضاً مع لورنس إلى القدس، واجتمع بالأمير عبد الله - وكان قد حضر في نوفمبر من عام ١٩٢٠ إلى مكان بشرق الأردن ليجتمع حوله زعماء القبائل ويأخذ - كما أشيع - بثأر أخيه من الفرنسيين الذين احتلوا دمشق. وهذه المنطقة ذات طبيعة عربية بدوية، وزرعها شديدة إلى الاستقلال، كما أنه كثرت فيها الاضطرابات منذ إسقاط حكومة فيصل - وهي كانت جزءاً من دولته العربية التي كان مركزها دمشق كما أنها - أي شرق الأردن - كانت دائماً جزءاً من ولاية دمشق أو الشام طوال الحكم العثماني إلى بداية الحرب، ثم جلا عنها الجيش العربي وبقى فيها الإنجليز. لذلك، ولأن إنجلترا كانت تريد أن تقيم معقلاً يحمي فلسطين والمشروع الصهيوني فيها من أخطار الصحراء، مثل تلك القوة السعودية الناشئة على الحدود، وتحميها أيضاً من فرنسا في الشمال، ولتكون تلك المنطقة أيضاً قنطرة تصل بين فلسطين والعراق وهي صاحبة النفوذ في كليهما - لكل تلك الأسباب، ولوثوق إنجلترا بصداقة الأمير عبد الله والأسرة وإخلاصه، قررت إنجلترا إقامة حكومة في شرق الأردن، يكون لها شيء من الاستقلال الداخلي في حدود، يرأسها الأمير عبد الله. وقد قام «تشرشل» بالاتفاق معه على ذلك وتنفيذ ما اتفق عليه.

شهد الشرق العربي إذن في خلال عام ١٩٢١ هاتين الحكومتين الجديديتين تقيمهما بريطانيا، خاضعتين لها وتحت إشرافها. وقد تسلم الأمير عبد الله عمله على الفور، وأُلِفَت أول حكومة لشرق الأردن في أوائل أبريل عام ١٩٢١. وكان الوضع أن الأمير تابع للمندوب السامي في فلسطين، وكان في ذلك الوقت

«السر هربرت صموئيل» اليهودي ، وينوب عنه معتمد إنجليزى مقيم فى الإمارة ، وهو الحاكم الحقيقى ، وكان أول معتمد «مستر أبرامسون» وشكلت فرقة نظامية رأسها «الكبتن بيك» ، ثم خلفه «جلوب بك» ولا يزال هو القائد الحالى . وقد سافر الأمير مرارا إلى لندن ليفاوض حكومتها فى إعطائه سلطات أوسع ، فعقدت معه معاهدة فى سنة ١٩٢٨ اعترفت له فيها بلفظ الاستقلال ، ولكن بقي وضع ولاية شرق الأردن كأنها مستعمرة أو محمية بريطانية . وأدت لإنجلترا خدمات جليلة : فصدت قوات السعوديين ، وضمت «العقبة» حين غزا ابن سعود الحجاز لتكون تحت النفوذ البريطانى ، ومنعت القبائل من مساعدة الثوار الوطنيين فى سورية ضد فرنسا عام ١٩٢٥ ، وشاركت فى إخماد ثورة «رشيد على الكيلانى» التى قام بها ضد الإنجليز فى عام ١٩٤١ .

وأما الأمير فيصل فقدم من لندن يوم ٣١ مارس ١٩٢١ ووصل إلى العراق يوم ٢٣ يوبه ، فاستقبله العراقيون بحفاوة ونادى به مجلس الوزراء ملكا . ثم تمت بيعته وتوحيجه فى بغداد فى يوم ٢٣ أغسطس عام ١٩٢١ . وانتقل العراق بذلك من الحكم الإنجليزى المباشر إلى حكم وطنى مرتبط بالإنجليز وجاعل القاعدة الأولى فى سياسة التعاون معهم والإخلاص لهم ومحاولة التوفيق بين مصلحتى العراق وبريطانيا : أى التوفيق بين الاستقلال والاستعمار ، بين الحرية والتقييد ، بين كرامة العروبة وعز الإسلام والتبعية لبريطانيا والذل لها . وقد عقد الملك فيصل مع بريطانيا فى عام ١٩٣٠ قيد بها العراق ، وقد حددت فيها العلاقات بين البلدين وجعلت لازمة لمدة خمسة وعشرين عاما ، فهى القاعدة التى سار عليها حكم العراق منذ ذلك الوقت . وخلاصة أهدافها الاعتراف القانونى باستقلال العراق ولكن مع بقاء الحاميات البريطانية والقواعد والمطارات الحربية ، والاحتفاظ بامتيازات الزيت من الموصل ، ومع إلزام العراق أن تكون سياسته الخارجية وعلاقاته الدولية متفقة مع مصالح بريطانيا . على أن العراق ظفر بمهد من الاستقرار ، وتم فيه تنظيم الحكومة ، وأخذ الوزراء الوطنيون يعملون بهمة على تقدمه فى نواحي الإنشاء المختلفة . غير أن السياسة الاستعمارية لا بد أن تتحالف مع الإقطاع والرجعية وتخشى من ظهور إرادة الأمة ،

فلا مناص إذن أن يظل تقدم العراق محدوداً في دائرة لا يتعداها ، ويجب أن لا يكون الإصلاح من الأساس بل يظل قاصراً على الوضع الراهن وفي الجزئيات والأشكال . وأرادت إنجلترا ترضية « الحسين » أيضاً رأس الأسرة ولكن بشمن . فتوجه « لورنس » إلى جدة عقب تنفيذ قرارات « مؤتمر القاهرة » في عام ١٩٢١ وعرض على ملك الحجاز مشروع معاهدة تدور على التحالف بينه وبين بريطانيا ولكنها تتضمن نصوصاً تجعله يعترف بالأوضاع الراهنة في البلاد العربية : أي بانتداب أو احتلال إنجلترا وفرنسا لها فرفض الحسين قبول المعاهدة بالرغم من إلحاح أفراد أسرته عليه بالموافقة . كما عاود الإنجليز جهودهم في سنة ١٩٢٣ لنفس الغرض ولكنهم في ذلك الوقت طلبوا من الحسين أن يعترف بوعد بلفور وآمال الصهيونية فكان الجواب الرفض القاطع . وإذ نجح الحسين في شرف الحكومة البريطانية اتجه إلى الأمة الإنجليزية ، فأصدر نداء نشر في لندن يوم ٣١ ديسمبر عام ١٩٢٣ — وهو آخر جهد له معهم — ذكر فيه الشعب بما اشتهر عنه من الشرف وقال فيه : « فلهذه الأسباب ألقت نظر الأمة البريطانية إلى ما حل بحلفائها العرب الذين لا يزالون يمدون أنفسهم حلفاءها . . فقد مزقت وحدتهم وقطعت أوصالها وتفككت بلدانهم وصارت محتلة ، وأخذ العالم الإسلامي خاصة والسواد الأعظم من قومي يرمياني بتهمة أنني بعت بلدانهم لبريطانيا العظمى وحلفائها الخ . . » ولكن لم يكن هناك جواب لهذا النداء ففجع أيضاً في شرف الأمة البريطانية . ودعا ابنه الأمير عبد الله لزيارة شرق الأردن فذهب إليها في أوائل عام ١٩٢٤ وقدم إليه تعزية أنه نادى به خليفة على الإسلام والمسلمين عقب إلغاء الخلافة في تركيا في مارس عام ١٩٢٤ ، ولكنها كانت الومضة الأخيرة قبيل انطفاء السراج !

ذلك أنه كان من أكبر التطورات التي حدثت في العالم العربي في الفترة التي تخللت بين الحربين العالميتين ظهور قوة « الدولة السعودية » الجديدة التي أسسها في أول القرن الأمير « عبد العزيز آل سعود » ، واشتباكها في نزاع مع « الحسين » أدى إلى استيلائها على « الحجاز » . وكانت أول موقعة جديدة في « تربة » شرق مكة في مايو عام ١٩١٩ حيث هزمت القوات السعودية الأمير عبد الله وجيشه هزيمة

تامة . ثم استطاع ابن سعود أن يمجو دولة « آل الرشيد » التى كانت تنافسه فى شمال نجد عام ١٩٢١ ، فأصبح الجو مهياً لفضال مباشر بينه وبين ملك الحجاز . ولم تكن سياسة « الحسين » الداخلية مرضية عند أهل الحجاز ولا المسلمين الذين يفدون إلى مكة لأداء فريضة الحج ، فقد كانت حكومة فردية شخصية وكان يفرض من الرسوم ما يشاء ، ولا تقوم حكومته بأى إصلاح ، كما أنه كان يتبع إزاء آل سعود سياسة استفزازية تقوم على التحدى . ولما فشلت جهود التوفيق بدأت قوات نجد هجومها ، سستولت على « الطائف » فى الأسبوع الأخير من أغسطس عام ١٩٢٤ ، ثم دخلت « مكة » فى يوم ١٣ أكتوبر من نفس العام . وأجبر الحسين على التنازل لابنه على فذهب يقيم فى « العقبة » ؛ ولكن الإنجليز فى يونيه عام ١٩٢٥ أرغموه على الرحيل إلى « قبرص » ليفصلوا العقبة من الحجاز . ومما يذكر أنه قال ليمض أخصائه عند سفره : « إنه يمتrof بأنه كان مخطئاً وأنه لم يكن يعرف أخلاق الأوربيين وما ينطوون عليه » ! وقد بقى فى تلك الجزيرة شبه أسير حتى قبيل وفاته . وبعد أن ظل « الملك على » يواصل المقاومة من « جدة » عما آخر اضطر إلى التسليم نهائياً فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ . وفى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ نودى بالسلطان عبد العزيز آل سعود ملكاً على البلاد الحجازية . وبذلك انتهى حكم دولة الأشراف من مكة والحجاز بعد أن دام قروناً ، وصار الحجاز متحداً مع نجد فى دولة واحدة ، وبدأ عهد جديد فى حياة الجزيرة العربية : عهد إصلاح وتعمير ، وتطلع إلى مستقبل مجيد للعرب فى داخل الجزيرة وخارجها . ولقد أصبحت « الدولة السعودية » منذ ذلك الوقت قوة ذات أثر كبير فى حياة العرب والمسلمين ، وهم يملقون عليها أكبر الآمال لإتمام الجهد فى تحرير أوطان العرب وإكمال استقلالها ، والقضاء على الأخطار التى تهددها .

أما ما كان من شأن مصر والشام فى ذلك الدور : فإن إنجلترا أرادت أن تتبع فى الأولى سياسة مماثلة لسياستها فى العراق ، وهى إرضاء الشهور الوطنى مع تحقيق المصالح الإمبراطورية ، أو هى سياسة الحكم غير المباشر بواسطة حكومة وطنية : ففى وجه الثورة المصرية وفشل مفاوضات « سعد — ملر » ١٩٢٠ و « عدلى — كيرزون » ١٩٢١ ، أصدرت الحكومة البريطانية تصريحها فى ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ،

الذي اعترفت فيه باستقلال مصر ، ولكنها في نفس الوقت تشبثت بتحفظات أربعة تضمن لها بقاء النفوذ ؛ وإن كان إلغاء الحماية على كل حال نصراً للثورة . وقد بقي ذلك التصريح أساساً للعلاقات المصرية — الإنجليزية إلى وقت عقد معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التي لم تكن أكثر من توضيح له مع بعض التعديل . وبقيت الحاميات الإنجليزية في القاهرة والسويس ، وظل النفوذ البريطاني يوجه البلاد بواسطة القصر والوزارات الوطنية التي تعلمت الولاء والتحالف مع المستعمرين .

وأما الشام فإن كارتته كانت أفدح الكوارث . لقد آمنت فرنسا احتلال سورية ولبنان وأخذت تعاملهما معاملة « المستعمرات » ، ولم يكن للانتداب معنى إلا أنه كان « حماية مستترة » . ولم تكف بالقضاء على استقلال البلاد بل إنها جزأتها إلى أجزاء منفصلة ، فما أشبهها بالقاتل الذي لا يكتفي بإزهاق روح ضحية بل يعكف على تقطيعها إرباً إرباً فنذ يوليه عام ١٩٢٠ أقامت هناك ( ١ ) حكومة دمشق و ( ٢ ) وحكومة حلب و ( ٣ ) حكومة العلويين في اللاذقية و ( ٤ ) حكومة الدروز في السويداء و ( ٥ ) هذا إلى جانب أنها اقتطعت أربعة أقاليم « مديريات » هي : بعلبك وطرابلس وصور وصيدا — اقتطعتها من ولاية دمشق فضممتها إلى جبل لبنان ، فوسعت حدوده مما كان طوال العهد العثماني قبل الحرب ، فصنعت منه ما أسمته « لبنان الكبير » وأعلنت انفصاله أيضاً . فضلاً عن شرق الأردن وفلسطين اللذين اقتطعا لإنجلترا ، وما كانا إلا جزءاً من إقليم الشام الكبير المتوحد .

فقدت البلاد هكذا وحدتها بعد استقلالها ، وقد أدت هذه التجزئة إلى تدمير اقتصادياتها ، كما أن الاستعمار الفرنسي لم يكن له هدف إلا الاستغلال فأنقص سعر النقد ، وملاً الحكومة بالموظفين الفرنسيين أو الأرمن ، وفرض الضرائب الباهظة . وقد قضى الفرنسيون على الحريات بكل صورها ، وطاردوا الأحرار وأكثروا النقي والاعتقال . كما أنهم جعلوا أساس سياستهم « فرق تسد » ، فأثاروا العصبية المصرية والطائفية ، واستغلوا الدين أسوأ استغلال فكان حكمهم كله قائماً على الحماة والتحيز — هذا مع أن الجميع يعرفون أن فرنسا بلد الإلحاد ، ولكنها تظهر



التعصب المسيحي في معاملتها للمسلمين شفاء لأحقادها الموروثة ، وقضاء لشهواتها الاستعمارية . وقد عنوا بنشر ثقافتهم ولغتهم الفرنسية بينا أهملوا شأن اللغة العربية . واستخدموا المصاريف السرية لإفساد الأخلاق وشراء الذم ونشر التجسس ؛ ورفقوا غير الأكفاء وقربوا إليهم غير الأمناء . وبالجملة كان حكم الفرنسيين فسادا في فساد ! وهذا هو « الانتداب » أو الوصاية التي أرادت « جمعية الأمم » ، لتنتقل إلى الأقطار الإسلامية حضارتها الأوربية ! . .

وقد ظل أحرار السوريين يجاهدون في أوروبا وفي مصر ، عاقدين المؤتمرات مصدرين النداءات متفاوضين مع الساسة ، يتكلمون باسم القانون والمبادئ فما أجدى كل ذلك فتىلا ! فكانت البلاد متهيئة للثورة . ولما بلغ السخط مداه وضاعت الصدور ، انفجرت الثورة في عام ١٩٢٥ . وكان سببها الأخير أو المباشر هو إهانة حاكم « السويداء » الفرنسي للدروز ، وإساءته استعمال سلطته إلى حد الوحشية والهمجية . قامت الثورة أولاً بقيادة الدروز ، وعلى رأسهم « سلطان باشا الأطرش » ، ثم انضمت الأمة جميعا للثورة واشترك في قيادتها زعماءها الذين كان في مقدمتهم الدكتور عبد الرحمن شهبندر والسيد نسيب البكري ، وغيرهم من أبطال الوطنية الذين اشتركوا في تقرير مصير سورية ولبنان منذ ذلك الوقت إلى اليوم . وقد استطاع الثائرون أن يهزموا أو يحاصروا بعض الجيوش الفرنسية التي أرسلت لمحاربتهم ، وكبدوا فرنسا خسائر فادحة في المال والرجال . وكان جوابها أنها ارتكبت — كدأها — كثيراً من الحماقات ، توجتها بضرب « دمشق » بالقنابل ، وسفك دماء النساء والأطفال الأبرياء !

كانت تلك الثورة نقطة التحول في تاريخ سورية . وقد ردت فرنسا إلى صوابها . ولما اقتنعت بمنطق القوة الذي لا يقنعها غيره ، أدركت أنه يتحتم عليها أن تغير سياستها ؛ فأخذت منذ ذلك الوقت تفاوض الوطنيين وتسعى إلى أن تعقد معهم اتفاقا . وقد قضت في ذلك الجهد عشر سنوات ( ١٩٢٦ — ١٩٣٦ ) . وأخيرا عقدت معاهدة سنة ١٩٣٦ ، التي لم يعتبرها الوطنيون إلا خطوة نحو الفوز بأهدافهم الحقيقية . ولكنهم لم يتمكنوا من التخلص نهائيا من الفرنسيين وطفليانهم إلا في

ظروف الحرب العالمية الثانية ، حيث هزمت فرنسا هزيمتها المنكرة أمام جيوش ألمانيا التي احتلت « باريس » .

وبينما الشعوب العربية كانت كلها مشغولة بهذا الجهاد ضد الاستعمار ، كان الإنجليز يرتكبون جريمتهم الكبرى في فلسطين بإجلاء أهلها عنها وتحويلها إلى أرض يهودية . وقد أفردنا لشرح تلك الكارثة مقالات خاصة نشرتها « المسلمون » في أعدادها السابقة . فما ورد فيها متمم للصورة التي رسمناها لأحوال الأمة العربية في ذلك الوقت .

كانت هذه — إذن — هي أحوال الشرق العربي في تلك الفترة الحاسمة من تاريخه ، بين الحربين العالميتين . وقد كانت كلها — كما تبين — فترة جهاد ضد الاستعمار ، وفترة صبر وتحمل للآلام ، ثم ظهرت في نهايتها تباشير النصر . وإن هذا الجهاد مستمر اليوم ، حتى تتحقق كل الغايات ، وتُجلى كل الجنود الأجنبية من أوطان العرب والإسلام . غير أنه إذا كانت الأمة العربية قد كسبت أكثر المعركة بالنسبة إلى الاستعمار ، فإن الذي يجب عليها اليوم أن توجه كل جهودها لكسب المعركة الباقية في « فلسطين » ، فإن هذه هي النقطة السوداء التي يجب أن تمحى ، وهذا هو الخطر الذي يجب أن نجتمع جهودنا للقضاء عليه .

### بحوث السنة

نواصل في مطلع السنة القادمة بإذن الله سلسلة بحوث السنة التي يكتبها فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي ، وقد وعد مشكوراً بموافاتنا بحلقاتها تباعاً .

« التحرير »

## حول الكعبة

للإمام الشهيد حسن البنا

« وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَلا تَشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهَّرَ بَيْنِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ » .

\*\*\*

هناك قواعد أساسية تقوم عليها الإنسانية الصالحة منها : المساواة ، والأخوة ، ومقاومة الشر ، وحب السلامة والخير ، وحسن الصلة بالله العلي الكبير .

ولقد جاء الإسلام الخفيف ينادي بهذه القواعد ويقررها فرائض من فرائضه ، وأهدافاً توصل إليها كل تعاليمه ، وينطق بها القرآن الكريم ، وتظهر جلية في أحاديث النبي العظيم صلى الله عليه وسلم وأفعاله وكل تصرفاته .

ولكن التقرير النظري لا يكفي وحده حتى تقوم الأعمال التطبيقية والرموز الحسية بتجسيم هذه المعنويات وتدعيمها في النفوس والأفئدة والأرواح ؛ ولهذا المهمة الجليلة شرع الله الحج وفرضه على المستطيعين من عباده فقال :

« وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا » .

هذا الإحرام ، الذي يتجرد فيه كل حاج من ثيابه جميعاً ويرتدى ثوبين اثنين بسيطين كل البساطة في شكلهما ولونهما ووضعهما : إزار ورداء لا غير ، إنما هو إعلان لهذه المساواة بين الناس بزوال شارات التفريق التي تحملها هذه الملابس المادية باختلاف قيمها وأشكالها وألوانها ومظاهرها . وإنك لترى الحاج قد تجردوا من ثيابهم وأحرموا لله رب العالمين فلا تكاد تميز بين أمير ومأمور وكبير وصغير ورئيس ومرؤوس ووجيه ومغمور ؛ كل أولئك قد سوى بينهم المظهر الجديد فلا اختلاف ولا تمييز .

وبهذا الإحرام يحرم على الحاج أن يخلق شعره أو يقص ظفره أو يقطع شجراً أو يهيج سيلاً أو يقتل حشرة أو ينال غلواً بسوء ، حتى لو لقي قاتل أبيه لما استطاع أن يمد إليه يداً أو يتجه إليه بانتقام ؛ وهذا تدريب عملي يتجسم به معنى المسألة والسلام فتتطبع به النفوس وتنطوي عليه الجوانح والقلوب .

وهذه الكعبة المشرفة ، التي رفع قواعدها إبراهيم وأعانه في ذلك إسماعيل ، إنما هي علم الوحدة الإنسانية والأخوة البشرية ، ورمز ارتباط القلوب والنفوس والأرواح :

« جَمَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ أَلْبَتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ » .

تهوى إليها الأفئدة وتطيف بها القلوب تارة والأشخاص تارة أخرى ، وتستقبلها الوجوه في كل مكان إيداناً بوحدة الوجهة ، وتقديراً لهذه الوحدة . والحجر الأسود فيها نقطة التقاء المشاعر الإنسانية والمواطف الإخوانية ، فنصاغه فكأنما يصافح إخوانه من بني الإنسان جميعاً ، ومن قبله فكأنما يرسل إليهم على صفحته بإخلاصه ومودته ومظهر إخوانته ومحبتة .

وهذه الجرات يقف أمام هدفها الحاج متمثلاً أن قوى الشر قد جسمت في إبليس لعنه الله ، وأن الحاج الآن قد طهر من الآثام ، وخرج من ذنوبه كيوم ولده أمه ، بعد أن سمد بوقفة عرفات ، ونزلت عليه من الله الرحمت والفيوضات ، فعليه أن يكون للرحمن ولياً ، وللشيطان عدواً ، وإنه ليمرب عن كل هذه المشاعر ، ويرمى إلى مدلول هذه الخواطر بهذا العدد من الحصى يقذف به وجهه عدوه اللعين إبليس ، إرضاء للرحمن ، ورجماً للشيطان ، باسم الله والله أكبر .

والحاج في كل هذه المواقف موصول القلب بالله ، تبارك وتعالى ، معلق النفس والروح بمغفرته ومثوبته ورضاء ومحبتة ، فإذا أحرم فشماره :

« لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك » .

وإذا طاف فعمله دعوات صاعدة إلى السماء ، وابتهاال وبكاء ، والتزام ودعاء ، واستلام وتقيل ، وأنس برحمة الكبير الجليل ، اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بمهدك ، واتباعاً لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم .

ويقول الذين لا يعلمون : إن هذه الكعبة والحجر من بقية وثنية الجاهلية أقرها الإسلام .

ونقول لهؤلاء : إنما جاء الإسلام ليحطم الوثنية في كل صورها وليقضى على عبادة الأوثان والأصنام ، وإن كل موقف من مواقف الحج إنما هو تقرير لهذه الوحدة وإسلام الوجوه والقلوب لله وحده الملك الملام ، وإنما مثل الكعبة والحجر كمثل هذا العلم تنصبه الدول رمزاً لمجدها ، وشماراً لوطنها ؛ فتحقق له القلوب وتهتز لإهترازه الأفئدة لذاته ولكن لما يشير إليه من معنى عظيم ، وشعور كريم . ولقد أراد الله الحكيم العليم أن تكون الكعبة هكذا علماً مركزاً على الأرض تتجسم به الوحدة العالمية ويرمز إلى هذه الأخوة الإنسانية ، واختار الله إبراهيم ، وهو موضع التقدير والتكريم من كل أهل الأديان السماوية ، لإنفاذ هذه الإرادة الربانية ، فصعد بأمر الله واستجاب لنداء مولاه ، وسأله بعد ذلك أن يتقبل عمله وأن يبارك له فيها أولاه :

« وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ : رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ، وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » .

ولعلها الحكمة الإلهية أن يقطع الله على هؤلاء المتربعين جبل الجدل ونشقيق الكلام بأن يختار لهذه المهمة محطم الأصنام .

وإن العمل العظيم في مغزاه ليصغر إذا جهل الناس هدفه ومرماه ، وكذلك هذا الحج الذي أقام الله به دعائم الصلاح والقوة في الحياة أصبح عند الكثيرين عبادة آلية عادية يؤدونها وخيرهم من يرجو بها الثوبة والأجر ، أما ما وراء ذلك من المنافع السادية والروحية والاجتماعية التي أشارت إليها الآية الكريمة :

« لَيْسَ لَدُنَا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ » .

فإنهم لا يطلون فيها التفكير ، ولا ينظرون إليها نظرة الفاحص الخبير . فاللهم قممنا في ديننا وانفعنا بهذا الفقه في ديانا وآخرتنا ، واجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » .

# كرامة الإنسان وشرفه

لسماحة الأستاذ السيد أبي الحسن الندوى

وكيل ندوة العلماء بالهند

[ ساعة مع مولانا جلال الدين الروى ]

لقد تواضعت الحكومات الشخصية المستبدة والفلسفات الخاطئة والأديان المحرفة على الاستهانة بقيمة الإنسان والخط من قدره وشرفه ، وقد نشأ بتأثير الحروب الطاحنة التى كانت لا تكاد تنقطع ، وفساد الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية مقت شديد فى الناس للحياة وتبرّم من امتدادها واستمرارها ، وقنوط من المستقبل وشعور عميق بالمهانة أو ما يسمى اليوم بمركب النقص ، وأصبح الإنسان حقيراً فى عينه ، وجاء بعض المتصوفين المعجم فدعوا دعوة متحمسة إلى الفناء الذى تمثله الجملة المأثورة . فى الأدب الصوفى « موتوا قبل أن تموتوا » وغلوا فى إنكار الذات حتى أصبح الاعتماد بالنفس وحب الذات الذى يتوقف عليه الكفاح والحركة والنشاط جريمة خلقية وحجر عثرة فى سبيل الكمال الروحى ، وقد أسرف الدعاة والمؤلفون فى الحث على اكتساب الصفات الملكية والانسلاخ من اللوازم البشرية ، حتى أصبح الإنسان يستنكف من إنسانيته وأصبح يمتد أن رقيه فى الثورة على الإنسانية لا فى الاحتفاظ بإنسانيته ، وأنه كلما كان أبعد من الإنسانية وأشبه باللائكة كان أقرب إلى السعادة والكمال .

ونشأ بتأثير هذه الأفكار والفلسفات وانحلال المجتمع وجور الحكومات أدب متشائم وشمر متشائم ، ينظر إلى العالم وإلى الحياة بالنظار الأسود ، يدعو إلى الفرار من الحياة والتشاؤم من الناس والنقمة على الآباء فى جنائهم على ذريتهم كما فعل أبو العلاء المعرى فى عصره ، وكانت نتيجة هذه العوامل القوية الطبيعية أن فقد الناس عامة الثقة بنفوسهم والأمل فى مستقبلهم والرغبة فى حياتهم ، وأصبح الإنسان فى هذا المجتمع التبرّم الضجر كاسف البال منكسر الخاطر ضعيف الإرادة محطم



الأعصاب ، قد يحسد الحيوانات في حريتها ، والمجادات في سلامتها وهدوئها ، لا يعرف لنفسه قيمة ولا لإنسانيته شرفاً ، ولا يعرف ذلك الجو الفسيح الذي هبأ الله لطيرانه وتحليقه ، ولا يعرف تلك الكنوز البديعة والقوى الجيارة والمواهب العظيمة التي أودعها الله في باطنه ، ولا يعرف أنه قد خلق ليكون خليفة رب العالمين في هذا العالم الفسيح ووصيا عليه وأخضع له هذا الكون ، وما كان سجود الملائكة لأول بشر إلا إشارة لهذا الخضوع فإنهم هم الذين يتصرفون في هذا الكون بأمر الله ويبلغون رسالاته ؛ فإذا خضعوا فقد خضع له الكون بالأولى .

في هذا المجتمع التأثير على الإنسانية الذي كفر بالإنسان وقيمته ومركزه في هذا العالم قام مولانا جلال الدين الروي يمثل الفكرة الإسلامية الصحيحة في شعره الرنان ، وبشير كرامة الإنسان المطمورة في أنقاض الأدب التشائم والشمر المتراجع المهزم ، وبدأ يتغنى بكرامة الإنسان وفضل الإنسانية في حماسة وإيمان وبلاغة ؛ حتى دب في المجتمع ديب الحياة وأصبح الإنسان يعرف شرفه وكرامته ، وترنح بهذا الرجز والحداء القوى الأدب الإسلامي كله ، وردده الشعراء وضربوا على وتره ، وانطلقت في عالم التصوف موجة جديدة تستحق أن تسمى « الاعتزاز بالإنسانية » .

يذكر جلال الدين الروي قراء شعره وتلاميذه أن الله سبحانه وتعالى قد خص الإنسان بأحسن تقويم فقد قال : « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم » وإن هذا اللباس الفضفاض قد فصل على قامة الإنسان فلا يطابق كائناً آخر . ويبحث قارئه على دراسة سورة « التين » والتدبر في معانيها وأن يحاسب لكلمة « أحسن تقويم » حساباً خاصاً فإنها ميزة للإنسان لا يشاركه فيها غيره ، ثم يزيد على ذلك ويرجع إلى سورة « الإسراء » ويذكر بقوله تعالى « ولقد كرمنا بني آدم » ويقول للقارئ : ( هل وجه هذا الخطاب الكريم وهذا الأسلوب من التكريم إلى السموات أو إلى الجبال ؟ إنه لم يوجه إلا إلى هذا الإنسان الذي يستهين بقيمته ويجهل مكانته ! إن الله قد توجك أيها النافل بتاج الكرامة وخمسك بقوله « ولقد كرمنا » وحلى جيدك بالمنحة الخاصة فقال « أعطيناك » كلمة لم يقلها لأحد ) .

إنه يقول إن الإنسان خلاصة هذا الكون ومجموع أوصاف العالم ، يتمثل

في هذا الجسم الصغير ما شئت في العالم من خيرات وكنوز ، وبدائع وعجائب :  
 « إنه ذرة حقيرة انمكست فيها الشمس ، فإذا طامعت لم يبد كوكب ، إنه قطرة  
 صميرة انصبّ فيها بحر العلم ، وثلاثة أذرع من الجسم انطوى فيها العالم » يقول  
 إن الإنسان غاية هذا الخلق ، لأجله خلق العالم ، وهو القطب الذي يدور حوله رحي  
 الكون ، تحسده الكائنات ، وقد فرض الله طاعته على جميع الموجودات : « إن كل  
 ما في هذا العالم من جمال وكمال إنما خلق لأجلك ويطوف حولك أنت الذي يحسده  
 المقربون ، لست في حاجة إلى جمال مستعار ، فأنت جمال الدنيا وواسطة المقد وبيت  
 القصيد ، الإنسان جوهر والفلك عرض ، كل ما عداك فرع وظل وأنت الغرض ،  
 إن خدمتك مفروضة على جميع الكائنات ، إن عاراً على الجوهر أن يخضع لعرض » .  
 ولا يقتصر الرد على ذلك ، بل يقول : إن الإنسان مظهر لصفات الله ، وهو  
 المرآة الصادقة التي تجلّت فيها آياته ، يقول : « إن الذي يترأى في الإنسان (من  
 الكمالات والمحسنات) عكس لصفات الله ، كمكس القمر المنير في الغدير الصافي ،  
 إن الخلق كالماء النير تتجلي فيه صفات الله ، وينمكس فيه علمه وعدله ولطفه  
 كما ينمكس ضوء الكوكب الدرّ في الماء الجاري » .

ولكنه يشعر بقصوره وعجزه في وصف الإنسان وضخامة المهمة ودقتها ،  
 ويعلن بصراحة وشجاعة :

« إذا صرحت بقيمة هذا الممتنع <sup>(١)</sup> لاحترقت واحترق المستمع »  
 ثم يتساءل : هل يجوز أحد أن يساوم هذا الإنسان العالي ويعتني نفسه بشرائه ،  
 وهل يجوز لهذا الإنسان أن يبيع نفسه — مهما تضخم ثمنها — ، ثم يندفع مخاطباً  
 للإنسان ويقول في تلهف وتوجع وفي شيء من العتاب والأنفة : « يا من من  
 عبيده العقل والحكمة والمقدرة ، كيف تبيع نفسك رخيصة ؟ » .  
 ثم يقول : لا محلّ للمساومة ، فقد تمت الصفقة وتحقق البيع : « إن الله اشترانا  
 وخلصنا من المساومات والمقاولات إلى آخر الأبد ، فالشيء لا يباع مرتين » ثم يحث  
 الإنسان على أن يعرف قيمته ، ولا يرضى إلا بأكرم المشترين . ويقول : « ابحث لك

(١) يعني به الإنسان .

— إن كنت باحثاً — عن مشتر يطليك ويبحث عنك والذي منه بدايتك وإليه نهايتك .

ويلاحظ الشاعر أن من بني آدم من لا يستحق هذا الوصف ، أشباه الرجال ولا رجال ، الذين هم فريسة نفوسهم ، وقتيل شهواتهم ، لا يعرفون من الإنسانية إلا ما يفوق فيه الحيوان من الشبع والري والشبق ، ويقول بكل صراحة : « إن هؤلاء ليسوا رجالاً ، إنما هم صور الرجال ، هؤلاء الذين يحكم عليهم الخبز وقد قتلت الشهوات فيهم الإنسانية » .

وقد ندر وجود الإنسان الحقيقي في عصره كما ندر في عصر غيره حتى أصبح في حكم المنقاء المغرب والكبريت الأحمر ، وحتى اضطر الباحثون أن يبحثوا عنه بمصباح ديوجانس ، وقد حكى الروي حكاية لطيفة في هذا الموضوع في ديوان شعره فقال :

« رأيت البارحة شيخاً يدور حول المدينة وقد حمل مشعلًا كأنه يبحث عن شيء ! قلت له يا سيدي تبحث عن ماذا ؟ قال قد مللت معاشر السباع والدواب وضقت بها ذرعا ، وخرجت أبحث عن إنسان في هذا العالم . لقد ضاقت صدري من هؤلاء الكسالى والأقزام الذين أجدهم حولي ، فخرجت أبحث عن عملاق من الرجال وبطل من الأبطال يملأ عيني برجلته وشخصيته وبروح نفسه : قلت له : لقد غرتك نفسك يا هذا فخرجت تقتنص المنقاء ، بالله لا تنعب نفسك وأرجع أدراجك فقد أجهدت نفسك وأنصبت ركابي وثقيت في البلاد فلم أر لهذا الكائن عيناً ولا أثراً ، قال الشيخ إليك عني أيها الرجل فأحب شيء إلى نفسي أعزّه وجوداً وأبعده منالاً . . . »

### حياة القلب

إن أردت حياة قلبك الحياة التي لا موت بعدها ، فاخرج عن الركون إلى الخلق ، ومنع عن هواك وإرادتك ؛ فهناك يحبك الله عز وجل حياة لا موت بعدها ، وينفك غنى لا فقر بعده ، ويمطيك عطاء لا منع بعده ، ويريحك راحة لا تعب بعدها ، ويرفع قدرك في قلوب عباده فلا تحقر بعدها . « الشعراي »

# الفقه الإسلامي

## هل يصلح مصد التفنين الحديث؟

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى أحمد الزرقا

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق السورية

### (١) الشرع بوجه عام

التشريع في الأمة هو كالأدب فيها ، كلاهما يعطى صورة عن واقع اجتماعي واقتصادي ، ويمر عما وصلت إليه الحياة فيها من التطور والإدراك الاجتماعي . وبقدر ما في التشريع من قواعد ذات مفاهيم تشريعية عامة عالية الاعتبار تكون درجة رقيه وصلاحيته مبادئه للخلود .

وللتشريع ثلاث وظائف كبرى في الأمة : العلاج ، والوقاية ، والتوجيه . فهو علاج للملل الاجتماعية والمشكلات الاقتصادية الواقعة . وهو وقاية من الملل والمشكلات المتوقعة .

وهو توجيه وتمهيد لاستمرار التكامل حتى يبلغ تنظيم الحقوق والالتزامات والمصالح مستواء الأكل .

ولكي تتحقق هذه الوظائف الثلاث في التشريع يجب أن يكون إلزاميا . ثم لكي تضمن له الطاعة يحتاج الشرع الأصلي إلى نوع إضافي من الأحكام التشريعية يسمى : المؤيدات ؛ كالعقوبات على فعل الجرائم ، وكبطلان العقود المخالفة للنظام المشروع فيها . وهذا ما يميز الشرع عن المواعظ الأخلاقية المجردة التي لا مؤيد لها .

وفي الأمم ذات التشريع الراقى يوجد إلى جانب نصوص القوانين فقه للملأء المستشرعين ( أى نظريات حقوقية وشروح ) واجتهاد للقضاة في فهم النصوص وتطبيقها والقياس عليها بصورة توسع استيعاب النصوص المحدودة إلى آفاق غير محدودة بمراعاة الملل التي راعاها الشارع وتحكيم دلائل نصوصه .

## (ب) الشريعة الإسلامية

إطارها العام :

الشريعة الإسلامية هى مجموعة الأوامر والنواهي والأحكام العملية القضائية ، تلك المجموعة التى بوجب الإسلام تطبيقها لتحقيق أهدافه الإصلاحية العامة فى المجتمع البشرى .

فالإسلام ثلاثة أهداف :

١ — تحرير العقل البشرى من رق التقليد والخرافات ؛ ولذا كافح الإسلام الوثنية لأنها انحطاط عقلى ، ودعا القرآن العقول إلى الدليل والبرهان والتفكير العلمى الحر .

٢ — إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً ؛ ولذا شرع نظاماً لعبادة الله ، يوجه الفرد إلى مراقبة خالقه ومحاسبة نفسه ، نظراً إلى عقيدة اليوم الآخر حيث الثواب على الإحسان والعقاب على الإساءة .

٣ — إصلاح الحياة الاجتماعية بصورة يسود فيها الأمن العام والعدل بين الناس وصيانة الحرمات الخاصة للأفراد ، والحقوق العامة للجماعة . وتحقيقاً لهذا الهدف الاجتماعى الثالث جاء الإسلام بقواعد نظام قانونى لإقامة دولة .

فمن الأحكام الشريعة فى الإسلام لهذه النواحي الثلاث تتألف الشريعة الإسلامية . وهذا هو المقصود عندما يقال : الإسلام دين ودولة . والناحية الثالثة — وهى النظام — القانونى هى المقصودة ببحثنا هنا .

النظام القانونى من الشريعة :

إن النظام القانونى من الشريعة تضمن مبادئ أساسية كانت أساساً لفقه عظيم ونظريات قانونية واسعة فى كل من القسمين الأساسيين اللذين ينقسم إليهما علم الحقوق اليوم وهما : قسم الحقوق الخاصة والحقوق العامة . كما قامت فى ظل هذا النظام القانونى مذاهب فقهية اجتهادية كثيرة أشهرها المذاهب الأربعة الحية إلى اليوم :

الحنى والمالكى والشافى والحنبل . والاختلاف بين هذه المذاهب ليس اختلافا دينيا فى المقيدة ، بل هو اختلاف قانونى قضائى نشأ منه روة تشريعية عظمى فى النظريات الحقوقية الإسلامية .

وسنمعرض فيما يلى خلاصة موجزة جدا عن أهم المبادئ التشريعية فى هذا النظام القانونى من الشريعة بجميع شعبه ، لتبين مدى مافيه من صفات التشريع الصالح للخلود بقواعده ومبادئه العالمية الاعتبار . وفى هذا النظام القانونى من الشريعة توجد إلى جانب الأحكام الآمرة مؤيدات زاجرة مضمونة بالقضاء ، منها مدنى كبطلان العقود المخالفة ، ومنها جنائى كالمقوبات التأديبية . وبهذا توافرت فى النظام القانونى من الشريعة صفة التشريع بمعناه القانونى الحديث ، وتميزت أحكامه عن المواعظ والأوامر الأخلاقية المجردة ( لا كما قد يتوهم من لم يدرسوا الشريعة الإسلامية أنها مجرد أوامر أخلاقية ليس لها مؤيدات ) .

إشارة إلى أهم المبادئ الأساسية فى هذا النظام القانونى من الشريعة :

أولا : فى قسم الحقوق الخاصة المدنية والجنائية :

( ١ ) الحقوق المدنية : اعتبرت الشريعة فى مصادر الالتزامات كل فعل ضار بالغير موجبا مسؤولة الفاعل أو التسبب ، والنزله بالتمويض المالى ولو كان الفعل الضار خطأ . فإذا كان عمداً أوجب أيضاً العقوبة . وهذا المبدأ تضمنه الحديث النبوى القائل : « لا ضرر ولا ضرار » واعتبرت جميع الالتزامات مضمونة بتأييد القضاء . وللقاضى فى الشريعة سلطة قضائية واسعة حتى على السلطان .

أما فى العقود فقد أقرت الشريعة الأحس التالية :

١ — العقد المشروع ملزم لماقده دون غيره . وجاء فى القرآن : « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

٢ — الشروط التماقدية حرة وملزمة للماقددين إلا ما يخالف النظام العام والآداب . وهذا ماقرته اجتهادات عديدة منها الاجتهاد الحنبلى .

٣ — العقود كلها رضائية تنعقد بمجرد اتفاق الإرادتين ولا تخضع لشيء من



الرائع الشككية . ويُلاحظ أن أوروبا لم تتوصل إلى تقرير هذا المبدأ وتخليص العقود من الشكليات الموروثة عن الرومان إلا في أواخر القرن الثامن عشر .

٤ - أوجبت الشريعة في إنشاء العقود وتنفيذها حسن النية وجعل كل غش أو تدليس أو تفرير أو إخلال بتنفيذ العقد من قبل أحد العاقدین مسوغاً للآخر فسخ العقد .

٥ - اعتبرت العرف والمادة أساساً لتحديد حدود الالتزامات والحقوق في كل ما سكت عنه العقد . وكل هذه الأسس تعتبر اليوم من أهم قواعد نظرية العقد العامة في التقنين الحديث .

### (ب) الحقوق الجنائية : أقامت الشريعة نظام العقوبات على أساسين :

١ - كل فعل ، ممنوع يعتبر جريمة ، وكل جريمة توجب العقاب بصورة عادلة تتناسب مع الفعل ونكفى لتأديب الفاعل وزجره . وقد تركت الشريعة عقوبات معظم الجرائم ( سوى خمس منها ) دون تحديد ، وفوضت للسلطة الحاكمة حق تحديد العقوبات بأنظمة بحسب الظروف الزمانية والمكانية .

وهذه العقوبات المفوضة إلى السلطة الحاكمة تسمى : التعزير . فقوانين العقوبات الحديثة بأجمعها سوى جرائم الحدود المستثناة تعتبر تطبيقاً صحيحاً للمبدأ العام الشرعى في التعزير (١) .

### ثانياً : في قسم الحقوق العامة الداخلية والخارجية :

#### (١) في الحقوق الداخلية :

١ - في الناحية الدستورية : أقرت الشريعة هنا ثلاثة مبادئ أساسية :  
( المبدأ الأول ) حرية الأفراد دون إخلال بالنظام العام والآداب ودون تجاوز على حدود حرية الغير .

( المبدأ الثانى ) المساواة أمام القانون في جميع الحقوق فلا امتياز لنسب أو لطبقة

(١) ينظر في ذلك باب التعزير في كتب الفقه ، وينظر بصورة خاصة كتاب الأحكام السلطانية للقاضى أبى الحسن الماوردى الشافعى الذى ترجمه إلى الفرنسية السكونت أوستوروف .

من الناس خلافا لما كانت عليه حال العرب والرومان والفرس . ففى القرآن :  
« إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وفى الحديث النبوى « لا فضل لعربى على عجمى  
ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » أى بالعمل الصالح .

( المبدأ الثالث ) الحكم فى دولة الإسلام يجب أن يقوم على أساس الشورى .  
فلا يجوز أن يكون الحكم استبداديا . ولكن الإسلام لم يحدد طريقة تحقيق الشورى ،  
فيمكن أن تؤسس على نظام جمهورى أو ملكى دستورى أو برلمانى أو رئاسى بحسب  
المصلحة والحاجة . والشريعة تتنافى تماما مع مبدأ وراثية الحكم ، بل على الأمة  
أن تختار دائما الأكثر أهلية وكفاية للسلطة العليا . وقد بين الرسول لأصحابه أن فساد  
الحكم فى الدولة الإسلامية يكون عندما يتحول عن طريقة الخلافة والشورى فيصبح  
( ملكا عضوا ) أى يعض على الأمة عضا ، ويفرض عليها فرضا .

٢ - فى الناحية الإدارية : قررت الشريعة لممثل السلطة العليا ( الإمام )  
فى الدولة صلاحيات إدارية تنفيذية غير محدودة ، ومن جملتها سلطة إصدار الأوامر  
الزمنية ( الأنظمة ) التى لها اليوم فى عرف الدول صفة تشريعية . ولكن الشريعة  
تمنح الإمام هذه السلطة التنظيمية باعتبار أنها فى الإسلام تطبيق للنصوص الشرعية  
العامة المقررة سابقا فى الشريعة وليست بتشريع جديد . على أن هذا لا ينافى مبدأ  
فصل السلطات إذا دعت إليه الحاجة واقتضته المصلحة ؛ لأن الأصل فى الشريعة رعاية  
المصلحة العامة والتحول معها فى كيفية تطبيق مقاصد الشريعة . حتى إن فقهاء  
الشريعة صرحوا بجواز الأخذ من المسجد لتوسيع الطريق إذا كانت الطريق ضيقة  
واقتضت الحاجة توسيعها من جانب المسجد ، بناء على قاعدة المصالح الإسلامية .  
وقد أوجبت الشريعة على صاحب السلطة العليا فى الدولة الإسلامية أن يكون تصرفه  
قائما على رعاية المصلح بنتيجة الشورى . وعلى هذا الأساس وضمت القاعدة الفقهية  
القائلة ( التصرف على الرعية منوط بالمصلحة ) وهذا هو الأساس فى فرض الضرائب  
وجبايتها ، وتأسيس الخدمات العامة بمختلف أنواعها ، والاستملاك الجبرى للمنطقة  
العامة ، والتسمير الإلزامى فى المواد الضرورية . وقد صرح فقهاء المذهب المالكي بأن  
أرباب الصنائع الضرورية للناس كالحبازين مثلا إذا اعتصبوا وامتنعوا عن العمل  
لأجل زيادة الأسعار والتحكم فيها تجوز شرعا مصادرتهم شخصا وإلزامهم بالعمل

لحاجة الجماعة . هذا ، وفى الناحية المالية العامة جاءت الشريعة — على خلاف ما كان سائدا حين ظهورها — بمبدأ فصل بيت المال ( خزينة الدولة ) عن ملك السلطان ، وصرح فقهاء المذهب الحنفى بما يفيد أن بيت المال يعتبر شخصية اعتبارية ، بل إن كل فرع من فروعها يعتبر له شخصية مستقلة . وقالوا : إذا احتاج أحد فروع بيت المال يؤخذ له من فرع آخر على سبيل القرض لا على سبيل الخلط . وهذا غاية ما وصل إليه التقنين المالى الحديث .

### (ب) فى الحقوق الخارجية ( أى الدولية ) :

أقرت الشريعة المبادئ التالية :

- ١ — الشعوب جميعا متساوية فى الحقوق الإنسانية خلافا لنظرية الشعب المختار الموجودة لدى بعض الديانات أو الأمم .
  - ٢ — المعاملة بين الدولة الإسلامية وغيرها يجب أن تقوم على أساس العدالة : ففى السلم تحترم جميع الحقوق المكتسبة للدول ورعاياها ، وفى الحرب لا يجوز تجاوز الحد الذى يندفع به شر العدو ؛ فلا يجوز تشويه القتلى ولا تمذيب الأسرى ولا القتل التدريجى ، ولا إتلاف الشجر الثمر ، ولا قتل الحيوان إلا للأكل أو الضرورة الحربية ، ولا إيذاء المتكسفين فى المعابد من رجال الدين ولا العاجزين عن حمل السلاح من النساء والأطفال والمسنين والمرضى .
  - ٣ — المعاهدات محترمة بين الدولة الإسلامية وغيرها وملزمة كالعقود بين الأفراد .
  - ٤ — لا يجوز المحاربة دون دعوة إلى قبول الحق ثم الإنذار . وحادثة الخليفة عمر بن عبد العزيز مع أهل سمرقند معروفة ، إذ جاء وفد منهم مشتكيا على طريقة دخول الجيش الإسلامى بلادهم فنصب لهم قاضيا لحاكمهم والقائد ، ثم قضى بخروج الجيش الإسلامى من سمرقند ! وهذا لا نظير له فى التاريخ .
  - ٥ — المعاملة بالمثل جائزة إلا فيما يخالف المبادئ الإسلامية ( ولذا أفتى الإمام الأوزاعى بعدم جواز قتل رهائن الروم لما خرق الروم معاهدة بينهم وبين المسلمين ) وحجة الأوزاعى الآية القرآنية التى تمنع مؤاخذه شخص بجرمة غيره .
- هذا ، وقد نشأ حول هذه الأسس فقه تفصيلى واسع مبسوط فى أبوابه من كتب الفقه .

## (ح) حقوق الأسرة (الأحوال الشخصية)

أنت الشريعة بنظام قانوني ينظم جميع أوضاع الأسرة وعلاقتها الحقوقية فبدأت أولاً بإتخاذ المرأة من الوضع المضمون إذ كانت لا تتمتع بحق الحياة فضلاً عن غيره من الحقوق ، فقررت الشريعة للمرأة جميع الأهليات الحقوقية التي للرجل ، وحق الإرث الذي كانت محرومة منه ، وحرية الزواج واختيار الزوج وأهلية الوصاية وحق إدارة أموالها واستثمارها دون سيطرة عليها للرجل من قريب أو زوج . ثم نظمت الشريعة أحكام الزواج وانحلاله وأحكام للولاية والوصاية على القاصرين وأحكام الميراث .  
أولاً : الزواج وانحلاله :

(١) انعقاد الزواج ونتائجه : جمعت الشريعة الزواج عقداً مدنياً محضاً كسائر العقود يتم بالاتفاق بين الرجل والمرأة بحضور شاهدين دون توقف على مداخلة مرجع ديني ، لأنه لا يوجد في الإسلام طبقة رجال دين يتمتعون بسلطة دينية ليست لغيرهم . فلا وساطة لأحد بين الله والناس . وكل شخص يُدخله في الدين إيمانه ويخرجه جحوده . بل ليس للنبي نفسه في شريعة الإسلام سلطة دينية يتحكم فيها بمصير أحد عند ربه ، بل النبي بحسب نصوص القرآن تنحصر مهمته الدينية في التبليغ وسلطته الزمنية في التطبيق . وكل من كان أعلم بأحكام الشريعة وهي أحكام مكتوبة معلنة غير سرية — أي كان الشخص الأعم بها — هو أحق بالتكلم فيها ورأيه خاضع للنقد والوزن بميزان النصوص الشرعية الثابتة .

ففي ظل هذا الوضع لا يتصور أن يكون الزواج في الإسلام إلا مدنياً . وبذلك سبق الإسلام الشرائع الحديثة التي أخذت بالزواج المدني .

وقد أوجبت الشريعة على المرأة متابعة الزوج والسكنى معه وطاعته ضمن الحدود الشرعية ، وأوجبت على الرجل نفقة الزوجة والأولاد ، وأثبتت نسب الأولاد في الزواج غير الصحيح كما في الزواج الصحيح صيانة للأولاد ، ومنعت الشريعة البنوة الوهمية بطريق التبني ، وحصرت البنوة وحقوقها بطريق التناسل الحقيقي .

(ب) انحلال الزواج ونتائجه : سوغت الشريعة انحلال الزواج بين الزوجين بالطلاق اجتناباً لمخازير إزامهما باستمرار الزوجية عند التنافر وجعلته مبدئياً بيد الرجل

لأنه بذلك يكون أقل ممارسة من جملة بيد كل منهما ، ولا سيما أن الزواج فى الإسلام يكلف الرجل مالاً يسمى مهرأ يدفعه للمرأة . ولكن الشريعة فسحت للمرأة مجال التخلص من الزوجية بطريق القضاء إذا وجد موجب .

وعند انحلال الزواج بالطلاق أو موت الزوج أوجبت الشريعة على المرأة أن تنتظر مدة معينة لا يجوز لها خلالها أن تتزوج كي تتحقق فراغها من الحمل ، منها لاختلاط الأنساب .

### ثانياً : الميراث :

أقرت الشريعة الميراث بين الزوجين وبين الأقارب بقواعد وأحكام جديدة بنتها على الأسس التالية :

١ - الإرث جبرى : فليس للمورث حرمان وارثه الشرعى . حتى إن الزوج إذا طلق زوجته فى مرض موته دون رضاها اعتبر ذلك منه إساءة لاستعمال حق الطلاق ودليلاً على قصد التهرب من إرثها ، فيثبت لها الإرث شرعاً . وبهذا سبقت الشريعة القوانين الحديثة فى نظرية إساءة استعمال الحق .

٢ - رتبت الشريعة الإرث بين الأقارب بنظام محدد ، روعى فيه الأقربىة إلى الميت . ويوقف للحمل نصيب عند وفاة مورثه يستحقه إن ولد حياً .

٣ - ليس للولد الأكبر امتياز أو تقديم فى الإرث على أخيه الأصغر خلافاً لبعض الشرائع الأوروبية اليوم .

٤ - للبنت نصف حصه أخيها الذكر . وهذه المسألة كثيراً ما يساء فهمها وتظن غيباً للأنثى ، ولكنها مرتبطة بنظام التكليف المالى فى الأسرة ؛ فالبنت قبل الزواج نفقتها على الأقرب من رجال الأسرة ، وبعد الزواج على الزوج . فإذا أخذت فى الإرث نصف حصه أخيها المكلف شرعاً بنفقة نفسه وزوجته وأولاده ترجع أخته أو فر حظاً منه .

\*\*\*

وبعد ، فهذه خلاصة من خلاصة كان شأنى فيها شأن من يريد أن يملأ البحور فى زجاجات المطور ، ويلخص عشرات المجلدات ، فيفرغ كل مجلد فى بضعة سطور . وعلى كل أرجو أن يكون فى هذه الخلاصة الخاطفة ما يكتفى لتكوين فكرة إجمالية عن الشريعة الإسلامية وفقهها ، وهل يصلح هذا الفقه أن يكون مصدراً لتقنين حديث ؟

## أكلت لحمي البشر

كنا جلوسا نتحدث ، فذكر أخ كريم أستاذا غائبا بخير ، وقال إن مما يعجبه فيه واقعيته ، وحته المسلمين على الاهتمام بشئونهم العملية ورعاية حكم الله فيها ، وتأثيره على الناس في ذلك تأثيرا شديدا ، وأنصتنا إليه في رضاء ، غير أني لحظت واحدا يستمع بوجه لم أرتح إلى ملامحه ، ثم كان تعليقه على ما سمعته : وماذا بعد واقعيته وتأثيره في الناس . . . يرشح نفسه في الانتخابات ، قالها وغمز بعينه ثم ضحك ضحكة ساخرة أليمة ، ومال برأسه إلى الأمام كأنه يطوى صدره على علم أوتيه وحده من دون الناس ، وعلى خبرة تجمله يحكم عليهم بما يشاء ! . . . ولكن الأخ الكريم سرعان ما دفع عن الأستاذ الغائب التهمة الباطلة وقال « إنه مقرر ألا يرشح نفسه للانتخابات قط ! » فملت وجه صاحبتنا الضاحك مسحة صفراء ، وكأن هذه التبرئة فجعت في شيء عزيز عليه ، أو كأنها جاءت مفاجأة تمارض الحكم المقرر عنده في اتهام السرائر . فسكت ولم يتكلم وبقى ساكنا طوال جلستنا .

\*\*\*

لم يزعجني اتهام الأستاذ الغائب بقدر ما أزعجتني صورة هذا الإنسان الذي اتهمه وهو غائب ، وإنها لصورة قبيحة ترى بصاحبها ، وأي شيء أقبح من رجل يأكل لحم أخيه الميت وهو يغمز بعينه ويضحك ملء أساريره ولا يظن عن نفسه إلا أنه العالم الخبير ! ألم يقل الله « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه » وهل الغائب بالنسبة لهذا الغامز الساخر إلا كالليت الذي لا يملك دفع التهمة ولا رد العدوان عن نفسه ! إن ذكره في غيابه بما فيه غيبة ، وذكره بما ليس فيه بهتان ، وذاكره في الحالتين يأكل لحم ميتا !

\*\*\*

وزعجني أشد من ذلك ، أن يشتد أهل الخير على هؤلاء الذين تؤكل لحومهم وتنهش أعراسهم بالباطل ويطالبونهم بالصبر على الأذى ، ولا يشكوا بأكلة لحوم البشر ويلزمونهم جحودهم وينتصروا للأبرياء ! !



# برنامجنا الاقتصادي

للاستاذ محمود أبو السعود

مستشار بنك الدولة بباكستان

( ٥ )

## الآثار المترتبة على تطبيق نظام النقد المحرر

١ - سعر الصرف :

يقصد بسعر الصرف ثمن النقد الخاص بدولة معينة مقوماً بنقد دولة أجنبية . وهذا السعر يرتكز في أساسه على الميزان الحسابي بين الدولتين . والميزان الحسابي أو ميزان المدفوعات عبارة عن بيان يعبر عن مركز كل من الدولتين قبل الأخرى من حيث الدائنية ، والمديونية ويشمل عنصرين رئيسيين : ( أ ) الميزان الحسابي ويقصد به بيان التجارة الخارجية المتبادلة بينهما ويمرعه بالميزان أو الحساب المنظور ( ب ) والحساب الغير منظور ويشمل ما بين الدولتين من دائنية أو مديونية ليست ناشئة عن تبادل السلع الحقيقية الواردة في الميزان التجاري . مثال ذلك ديون الحرب وفوائدها وتسويات أجور النقل وأرباح الشركات الأجنبية والتأمين بمختلف أنواعه ونفقات السياحة وما شابه ذلك . وهذه التفرقة ليست بذات أهمية كبيرة في بحثنا هذا ، وإنما سقناها حتى لا تختلط معاني الألفاظ والمصطلحات في ذهن القارئ .

يتوقف سعر الصرف إذن على نتيجة الميزان الحسابي لكل دولة وذلك على فرض حرية النقد العالمي . وقبل أن نشرح هذه النقطة الدقيقة يجب أن نشير إلى بعض المبادئ الأساسية المتفق عليها في الاقتصاد والتي لا غنى عنها لفهم هذا الموضوع . فنقرر أن الصادرات تدفع بالواردات ، ومعنى هذا أن الأصل في تسوية المعاملات بين دولتين هو المقايضة ، خصوصاً في العصر الحاضر حيث يصعب الدفع بالذهب ؛ وحيث إنه يصعب جداً أن تستورد البلد نظير صادراتها لبلد آخر سلماً تعدل نفس

القيمة على التمام فإن نظام التحويل يسهل هذه العملية . مثال ذلك أن مصر تستورد مثلاً من ألمانيا بما قيمته ١٠٠ وحدة وتصدر لها بما قيمته ٥٠ وحدة فقط فهي مدينة لها بقيمة ٥٠ وحدة . فإذا كانت مصر دائنة لفرنسا بقيمة ٧٠ وحدة مثلاً فإنها تستطيع أن تحول من هذا الدين قيمة ٥٠ وحدة لحساب ألمانيا . ومعروف أن هناك مصرفاً عالمياً مركزه بال في سويسرا اسمه بنك التسويات الدولي International Bank of Settlement. هذه وظيفته الأساسية .

والآن لنشرح كيف يتحدد سعر العملات حالياً . معلوم أن أكثر دول العالم أعضاء في مؤسسة النقد العالمية I. M. F. التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، وأن هذه المنظمة قد حددت أسعار النقد لكل دولة بالنسبة لوحدة رمزية معادلة للدولار الأمريكي الذهب واسمها اليونيتاس Unitas . وبهذا ربطت نسب العملات بعضها إلى البعض ، وتمهدت الدول الأعضاء أن تلتزم هذا (السعر الرسمي) في معاملاتها مع بعضها البعض . ولا شك أن هذا التحديد تحديده صناعي مرتين بالسياسات التجارية الحماية التي تتبعها دول العالم أجمع ، وقد نتج عنهما (التحديد والسياسة التجارية) هذه الرقابة الشديدة على تحرك رؤوس الأموال من بلد لآخر وعلى حركة التجارة بين الدول . ولسنا ننكر أن هذا النظام وضع للظروف الشاذة التي نجمت عن الحرب العالمية الثانية كما لا ننكر أن واضعي هذا النظام قد نصوا على وقتيته وعلى ضرورة إلغائه في أقرب فرصة ، بل إنهم حددوا عام ١٩٥٣ ليكون الحد الأقصى الذي لا يصح تجاوزه ، ومع كل هذا فقد بنت الدول التي دمرتها الحرب اقتصادياتها على أساس هذا النظام الشاذ ، ولما أن حلت سنة ١٩٥٣ لم تتخل هذه الدول عن الحماية ورأت أن مصلحتها تقتضي استمرار الرقابة النقدية والاحتفاظ بالأسعار الرسمية ، كما قررت أن عجز موازينها الحسابية لن يسمح لها بتحرير نقدها والسماح لرؤوس الأموال بالدخول والخروج دون ضابط أو رقيب ، كما أبقت على العوائق التجارية القائمة لتحمي تجارتها وصناعاتها من المنافسة الخارجية .

وبصرف النظر عن صواب هذه الإجراءات أو خطئها فإننا في هذا المجال لانمرض إلى نظرية الحماية ، بل سنحاول أن نبين إمكانية تطبيق نظامنا في ظل

النظامين ، أعنى نظام الحماية القائم ونظام الحرية المرتجى حلوله بعد فترة طالت أو قصرت .

أما في حالة الحماية القائمة فالتطبيق سهل واضح ، إذ سيحدد سعر الصرف على أساس الذهب وحسبما يتقرر في صندوق النقد الدولي ، وسيكون من الأسر على الدولة التي تطبق نظام النقد الحر أن تشق طريقها في السوق العالمية نظرا لأن تثبيت السعر الداخلي لمستوى الأسعار (أو تثبيت القوى الشرائية) مع ازدياد الإنتاج مما يطمئن كلا من المستورد والمصدر على مستقبل السعر بالنسبة للسلع . فالمستورد يمكنه أن يحجز طلباته مقدما دون خوف من انخفاض مستقبل ، والمصدر يمكنه أن يرتبط مع المنتج والمستورد دون خوف كذلك من تغير كبير في السعيرين الداخلي والخارجي . فإذا كانت البلد التي تتبع النظام النقدي الحر متمتعة بميزان حسابي متوازن فإن ذلك سيكون مدعاة إلى استقرار وتوازن يكسبان التجارة الخارجية قوة على قوتها وبمعينان الاستهلاك المحلي على توفير حاجات الناس بتكلفة أقل . على أن هذا الفرض ليس كثير الحصول . والواقع أن أكثر الدول ثمانى عجزا في موازينها الحسائية وسبب ذلك مرده إلى أمرين : ما خلفته الحرب في الدول الغربية من دمار وما تزعت إليه الدول الزراعية والدول المتخلفة من محاولة التصنيع . وفي الحالين تحتاج الدول إلى رؤوس أموال ضخمة لتممر بها ما خرب أو لتنشئ صناعاتها الجديدة . هذا العجز في موازين المدفوعات يقابل عن طريق القروض الخارجية أو الدفع بالذهب أو بهما معا ، على أن ذلك العجز لا يمكن أن يستمر طويلا لأن المقرضين سيحجمون عن الإقراض ، ولأن معين هذه الدول من الذهب لن يكفي لمقابلة العجز سنين متوالية . من أجل ذلك نعمم الدول طريقة الموازنة عن طريق سلوك السيليل الأصلية وهي الدفع بسلع تنتجها مصانعها التي أنشأتها بقروضها أو بذهبها . هذا الوضع لن يختلف في حالة تغير أساس النقد في الدولة المحررة اللهم إلا من ناحية واحدة هي أن إنشاء المصانع الجديدة وزيادة القوى الإنتاجية سيكون أسرع وأسهل بكثير فيها منه في غيرها وذلك لطبيعة الاستثمار في كل من الدولتين .

أما إذا سار العالم خطوة إلى الأمام وقررت الدول الأعضاء في صندوق النقد

الدولى أن تحرر عملاتها وأن تجعلها قابلة للصرف والتداول خارج بلادها ( مثال ذلك الدولار الأمريكى والدولار الكندى والفرنك السويسرى ) فإن سعر الصرف سيكون خاضعا إلى الميزان الحسابى للدولة وفى هذه الحالة لن تملك السلطة المحلية أن تحدد سعر الصرف كما تشاء بل سيكون لزاما عليها أن تخضع لحكم الدائنية والديونية . ولتوضيح هذا نضرب مثلا مبسطا للأمري : العلاقة بين مصر وألمانيا : فى الأوقات العادية حينما تصدر مصر قطننا إلى ألمانيا فإن التاجر المصرى يتقاضى قيمة قطنه كمبالة مسحوية على ألمانيا ولا يتقاضى ماركات ألمانية . هذه الكمبالة تكون بيد بنك المصدر لفترة من الزمن حتى إذا أراد مصرى آخر أن يشتري آلات من ألمانيا وأن يدفع ثمنها ذهبها إلى المصرف الذى بيده الكمبالة واشتراها وبعت بها إلى المصدر الألمانى . ويسمى السعر الذى تشتري به هذه الكمبالة سعر الصرف فى القاهرة للمارك الألمانى . ويدهى أنه إذا كانت مصر تصدر سلعا وخدمات أكثر مما تستورد فستكون الكمبالات المسحوبة على الألمان والمعروضة فى سوق القاهرة أكثر من الطلب عليها ولهذا تنخفض قيمتها . وحيث إنها تمثل ماركات ألمانية فيمنى هذا انخفاض سعر المارك بالنسبة للجنيه المصرى فى سوق القاهرة .

إذا اتضح هذا بدا جليا أن النقد المحرر لا بد أن يخضع للميزان الحسابى فى نظام اقتصادى حر ؛ ولا شك أن هذا الوضع يؤثر تأثيرا مباشرا فى القوة الشرائية للنقد داخل البلاد ، ذلك أن أسعار السلع المستوردة المشابهة للسلع من المنتجات المحلية أو البديلة عنها تؤثر فى مستوى الأسعار وينعكس هذا التأثير بطبيعة الحال فى القوة الشرائية للنقد . فإذا أردنا أن نحفظ بمستوى أسعارنا ثابتا بقدر المستطاع استطعنا بهذه العقبة ولزم علينا إما أن نعالج تكاليف الإنتاج أو نغير من السعر عن طريق تغيير كمية النقود . وعلى كل حال فإن السياسة التى يجب اتباعها فى مثل هذه الأحوال تتوقف على عوامل كثيرة جداً وهى من باب فن الاقتصاد التطبيقى أكثر من كونها نظرية اقتصادية . ويمكن أن نذكر هنا أن أكبر عامل يؤثر فيها هو مدى انتشار نظام النقد المحرر بين سائر الدول ومدى التعاون الاقتصادى الدولى والقدرة الإنتاجية المحلية وطريقة التسوية النهائية للمدفوعات .

ومهما كانت الظروف فإنه من الناحية الفنية لا توجد أدنى صعوبة لتعرض نظام النقد المحرر في الحياة العملية سواء ظلت الأوضاع النقدية المالية على ما هي عليه أم تدهورت أم تقدمت نحو الحرية المالية ، وسواء انفردت دولة واحدة بهذا النظام أم شاركتها غيرها من الدول . وكل ما يحدث هو تأخير الانتفاع بيمض نتائج هذا النظام حتى تستقر الأحوال المالية وتحسن أمورها .

### ٣ - المصارف أو البنوك :

يهتم كثير من الناس بالسؤال عن مصير المصارف التجارية إذا طبق هذا النظام ، ويحيل إلى أن الناس تعطى هذه المصارف نوعاً من القداسة مصدرها الجهل بنشاطها وسرية أعمالها ، وتلك الحالة التي أحاطت هذه المنظمات أنفسها بها حتى ظن أكثر الناس خطأ أنه لا غنى عن المصارف بشكها الحالي ، وأن أى اقتصاد لا يتركها منزل الصدارة سينوء حتماً بالفشل . وهذا وهم لا يثبت لتمحيص ، فإنما وجدت المصارف أصلاً كنتيجة لوجود الفائدة ولقابلة ضرورة الأقراض التي نشأت عن فصل عملية المقايضة إلى شقين مستقلين : الشراء والبيع . ولنا بهذا معنى أننا سنلقى المصارف في نظامنا الجديد ولكننا فقط لن نمطها هذه الأهمية الكبرى ، ولن نسمح لها أن تلعب هذا الدور الخطير الذي تهز به كيان المجتمع الاقتصادي ؛ إذ المصارف ( تحقق الائتمان ) وتحبس النقود حين تقتضى المصلحة أن تبسط بها يدها وتتماضي فائدة مرتفعة يتحملها المستهلك أو المنتج مما يؤدي ذواماً إلى عرقلة تبادل السلع ، وتعتمد للممولين سبل السيادة النقدية بما تهبطه لهم من تخمين في تخزين المال واستثماره بفائدة لا مبرر لها ولا منطق .

ولننظر الآن في وظيفة المصارف في نظامنا النقدي المحرر كما شرحناه آنفاً : فأولاً لن يتمكن المصرف من احتجاز النقود في خزائنه في شكل ودائع في حسابات جارية ، لأن ذلك يعنى تحمل الضريبة النقدية وسيقتصر عمله في هذه الناحية على توصيل الأموال من وإلى صندوق الاستثمار : أى أنه سيكون بمثابة وكيل له إذا اقتضى الأمر ذلك .

وإذا انعدمت الودائع الجارية لم يتمكن المصرف من خلق ائتمان أى لم يتمكن من زيادة النقد التداول عن طريق استعمال أموال المودعين فى الحسابات الجارية لإقراض منهم فى حاجة إلى أموال . وفيما يختص بالودائع الثابتة لن يمدو عمله ما يقوم به صندوق الاستثمار أى أنه سيضطر إلى استثمار أموال المودعين لحسابهم أو لحسابه ( إذا صرحت له الدولة بذلك ) على أن يضطر إلى شراء أسهم بعض الشركات التى يرى أنها أكثر ربحا ، وسواء تم الاستثمار لحساب العميل ( وفى هذه الحالة يعتبر المصرف سمسارا لا أكثر ) أو لحساب المصرف على أن يوزع معدل الأرباح بنسب الودائع ( وفى هذه الحالة يقوم المصرف بوظيفة مؤسسات الاستثمار ) فإنه لن يتمكن من احتجاز المال لديه ولا من التحكم فى كمية النقد المتداولة .

بقيت للمصرف وظائف أخرى هامة أهمها تسهيل عمليات الاستيراد والتصدير وشراء وبيع الكمبيالات السحوبة على الخارج وإعطاء الضمانات المصرفية وغير ذلك من العمليات الثانوية التى لا تؤثر فى الاقتصاد القومى وعمليات التمويل . وبالاختصار ستكون عمليات المصارف أقل من نصف ما نشاهده اليوم ، كما أنها ستكون من البساطة بحيث لا تحتاج إلى ربع عدد الموظفين الموجودين بها حاليا . ولا شك أن هذا سيتم بها تدريجيا وتبعاً لرسوخ النظام الجديد .

### ٣ - التجارة الداخلية :

إن النظام الجديد سيؤدى حتماً إلى سرعة تداول النقود وبعبارة أخرى سرعة تداول السلع استهلاكية كانت أم إنتاجية ، كما أن طبيعة هذا النظام تقتضى أن يفضل الفرد أن يدفع ( مقدما ) وذلك عكس المعروف حاليا إذ أن جمهور المستهلكين يفضلون الدفع مؤجلا وذلك لأن النقد فى النظام الجديد ياهظ التكلفة إذا احتزن . ينجم عن هذا أن المستهلك إذا احتاج إلى سلعة غير متوافرة فى السوق فضل أن يدفع ثمنها مقدما إلى التاجر ليشتريها له من المنتج فى أقرب فرصة . وطبيعى أن يسارع التاجر إلى دفع المبلغ إلى المنتج ليتخلص من عبء الضريبة ولن يقبل المنتج هذا الحل ما لم يطمئن إلى أنه سينتفعه حال استلامه فى شراء المواد الأولية والآلات اللازمة وأجور العمال الخ . إن مجرد اضطراب الفرد إلى التخلص من النقود يبسط العملية التجارية ويقضى على كثير من عناصر المضاربة إذ أننا فى الوقت الحاضر نشترى بنقودنا



المختزنة سلماً نظن أنها ستروج فى موسم معين أو فى المستقبل القرب أو البعيد ، وليس من الضرورى أن ندفع الثمن كله أو أن نستلم السلعة فور شرائها . ونحن بهذا نصارب إذلسنا واثقين تماماً من أن المشتري سيقبل على هذه السلعة بالدرجة التى نتوقمها وقد يحيب ظفنا وقد لا يحيب وقد يشهد الطلب بدرجة أكبر مما نتوقمنا . ونحن فى كل حالة نحسب الثمن الأساسى متضمناً فائدة رأس المال الذى نستثمره فى هذه المضاربة . وسواء خسرنا أم ربحتنا فإنما الخسارة والربح يحسبان بعد خصم الفائدة ، فإذا فرضنا أن التاجر قرر أن يبيع بثمن التكلفة فإن هذا الثمن يتضمن فائدة رأس المال التى تريد وتنقص حسب الأحوال .

هذا الوضع سىغير من أساسه ولن تنأى تلك الفرص التى يضارب فيها التجار فيثرون الثراء الفاحش أو يخسرون الخسارة البينة من جراء الخطأ فى التقدير ؛ ذلك لأن التاجر لن يجد المقرض الذى لا يهمه إلا أن يستحوذ على الفائدة ، بل سيجد المال متوافراً لديه عن طريق المستهلك . أما المنتج فهو لن ينامر كثيراً إذ سيكون حكمه مبني على طلبات حقيقية . والنتيجة النهائية لهذه الصورة هى قلة مكاسب التجارة لقلة المخاطرة فيها ولثبات الأسعار النسبى ، وبالتالى فإن المشتغلين بهذه المهنة سيقبل عددهم خصوصاً وأن الإجراءات التجارية ستكون أبسط بكثير مما هى عليه الآن . على أن الوضع الجديد سىتكيف حسب المرف والمعدات ومقتضى الأحوال ، ولكنه لن يطابق ما هو مهود من تعقيدات ومجازفات كالتى نشاهدها فى النظام القائم .

#### ٤ - التامينات الجماعية :

المقصود بهذا الاصطلاح ما اقتضته ضرورات النظام القائم من حماية لمصالح العمال والموظفين والزراع فهؤلاء عرضة من آن لأن للبطالة وأخطار العمل ، لهذا عمدت الحكومات إلى إنشاء نظم التأمين الجماعية لتكفل للفقراء سبل الحياة إذا أقعدتهم الشيخوخة أو أعجزهم المرض أو داهمتهم البطالة ، كما عمد العمال والموظفون من جانبهم إلى إنشاء الاتحادات المهنية والنقابات الطائفية لتحمى كل فئة نفسها من عدوان الفئات الأخرى ؛ وبهذا تميزت مصالح كل طبقة عن الطبقات الأخرى ، حتى ليظن الرأى أن أمة بهذه الطبقات ليست إلا فئات من الناس تحترب مصالحها

وتتعارض مقدراتها وأهواؤها . وهذا الخلاف الشديد بين مختلف الطبقات ليس إلا وليد النظام نفسه ، إذ أن أصحاب رؤوس الأموال ينعمون دائماً حتى ولو خسروا الكثير في أيام الأزمات بينما العامل الفقير يتضور جوعاً وهو ومن يعمل إذا تمطل يوماً أو بعض يوم ، وقوة الأول مستمدة من قوة ماله ، وهذه القوة لا سند لها من شريعة أو قانون أو منطق علمي سليم ، بل هي كما أوردنا من قبل قوة اكتسبها الأغنياء وتوارثناها على مر العصور فبدت كأنها جزء من الحياة الطبيعية . ومما يزيد الطين بلة أن الفلسفة الاجتماعية في العصر الحاضر تنبئ على المسادية المحضة وتنكر التعاطف والروحانية .

أما في نظامنا المحرر فالحال غير الحال ، إذ أن طبقة الرأسمالية ستندم وأن يتحكم امرؤ في غيره عن طريق استمداء ماله عليه . بل إن صاحب المال سيحرص على استثماره في الإنتاج ومعنى هذا أنه سيحرص على إعطائه لغيره من المنتجين والعمال . كما أن احتمال حدوث الأزمات وما يصحبها من بطالة سيكون أقل ما يمكن وبشكل تسهل معالجته ، فإذا أضيف إلى هذا ما في النظام الإسلامي من تكافل وما للأفراد من حقوق قبل مجتمعه وحكومته أمكننا أن نقول دون مغالاة أو شطط : إن حرب الطبقات التي نراها مشتعلة في جميع دول العالم لن تجد لها زاداً تأكله « والنار تأكل كل بعضها إن لم تجد ما تأكله » . . .

فهذه الشركات التي ألفت لتؤمن ضد البطالة أو العجز أو الشيخوخة وهذه الملايين التي ترصدها الحكومات لنفس الغاية ستتحول جميعاً إلى طاقة إنتاجية ، يستفيد منها المجموع ويحولونها بدورهم إلى استثمارات إنتاجية تنفع عليهم من الخير ما يطمئنهم إذا دامهم مرض مقعد أو موت مفاجئ أو بطالة غير متوقعة . وليس معنى هذا أن كل تأمين سيلغى بل سيكون التأمين موجوداً ولكن تقوم به سلطة حكومية وعلى نطاق ضيق هو النطاق الذي يقرره الإسلام والذي يشمل من انقطعت بهم سبل الرزق بمعجز طبيعي فيهم . ولست أحب أن أبين هنا النظام الإسلامي الاجتماعي وحق النفقة على الأقرب فالأقرب ، ولكن فقط أشير إلى أنه في بادئ الأمر ستبقى هذه المؤسسات للتأمين فترة قصيرة ريثما تدور عجلات الإنتاج وتزداد الأجور وتطبق القوانين الإسلامية في سائر مرافق الحياة ؟

# بَسَائِطُ فِكْرٍ

للأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام

مدير مصر بالباكستان

## الناس عبيد الواقع

أقطع حجة عند الناس الواقع . إن تجادلوا في أمر أجاز أم غير جاز ، أو نافع أم ضار ، أو جميل أم قبيح ، فقل إن جماعة فعلته أو واحدا من الكبراء أنه ، كان لهذه الحجة في الجدل ما ليس لقضايا العقل ، وأحكام الوجدان . وعدت من « السوابق » .

وقد شاعت سياسة الأمر الواقع في هذا العصر ، تعتمد عليها حكومات أو طوائف أو آحاد ، فيما يشجر بينها وبين غيرها من نزاع — فيقال قابله بالأمر الواقع أو وضمه أمام الواقع . والحق أن الفكر المتمدن بفكره المعتز بنفسه ، لا يرى في الواقع حجة ؛ فكم من واقع هو زور أو جور أو ضرر — إن جهاد المصلحين في الأمم أكثره لإزالة الباطل والشر : أي إزالة الواقع المكروه وإثبات النافع ، ولعل أكبر ما يميز أمة من أمة ، وإنسانا من آخر هو الخضوع للواقع أو الاستكبار عليه ؛ الأمة الجاهلة الضعيفة ترى الواقع أوضح حجة من أن يجادل فيه ، وأرسخ أساسا من أن يطمع في هدمه . والأمة العالمة القوية يستوى في رأيها الواقع ، وغير الواقع ، ويلتقي في عزمها ما وقع وينبئ أن يزول ، وما لم يقع وينبئ أن يكون . هذا تمحوه وذاك تثبته . وإنما مرد الأمر في القبول والرد أو الاستحسان والاستقباح هو إدراك النفع في الأمر أو الضرر . فلا ينفع ما تكرهه أن يقع ويتكرر وقوعه ويدوم أثر الوقوع أجيالا . ولا يضر ما تقبله أنه لم يقع ولم يألّفه الناس فهم يعجبون منه وينفرون ، أو يمترضون فيه ويحادون .

هذا عندى قياس الأمم والآحاد ، في عقولها وعزائمها لا الذي أدركه أبو الطيب في طباع الناس حين قال :

كل عالم يكن من الصعب في الآء فس سهل فيها إذا هو كانا

## وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب

لعل كثيراً من الناس تساءلوا ما الساعة وكيف تكون كلمح البصر أو أقرب ؟ إن عمل العلماء الباحثين في قوى الطبيعة الكاشفين عن أسرارها يكاد يجعل أمر الساعة هذا مما يتناوله العلم بتحقيقه وتجربته ، فهم يكشفون عن قوى الذرة ويسلطونها للشقاء ، على الإنسان وما صنع ، يدكون بها الساكن والمصانع ويهلكون الحرث والنسل . فقد اخترعوا القنبلة الذرية ويتحدث الباحثون عن قنبلة أشد تدميراً من القنبلة الذرية . يقولون إنها قنبلة من الإيدروجين .

ويخشى بعضهم أن يؤثر انفجار هذه القنبلة على الماء فيشعله . فإن اشتمل الإيدروجين في البحار شمل الدمار الأرض ومن عليها في لمحة . ولعل بحثاً آخر عن قوى الطبيعة السكينة وأسرارها الباطنة يكشف عن وسيلة إلى إشعال الهواء . فإن اشتمل الهواء التهمت النار الأرض ومن عليها في طرفة عين . وهكذا يكشف العلم عن الأسرار ويوجهه شقاء الإنسان إلى الدمار .

ليس بعيداً أن يتأذى الإنسان في بحثه ولعبه ، وكشفه وعيئه ، حتى يلمس قوة من قوى الطبيعة التي يدركها أو مرأً من أسرارها التي لا يدركها ، فإذا الهلاك الوحى والدمار الفجائى وإذا الآية « وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب » .

## ردّ الحقوق

قيل لمالك بن دينار : ادع لفلان المحبوس ، فقال : مثل محبوسكم مثل شاة غدت إلى عجيب فقير فأكلته ، فأنتخمت ، فصاحبها يقول : اللهم سلمها ، وصاحب العجين يقول : اللهم أهلكها . ولا ينفع دعاء صاحبها من دعاء المظلوم .  
فقولوا لصاحبكم ردّ إلى كل ذى حق حقه فإنه لا يحتاج إلى دعائى حينئذ .

# ناروتنا

\* حيرة المسلمة العصرية .

\* حول الجامعة الإسلامية .

هذه رسالة من مسلمة في موضوع يشغل بال المسلمات في هذه الأيام إلى فضيلة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا :

حضرة الأستاذ الفاضل الشيخ مصطفى الزرقا المحترم .

السلام عليكم ورحمة الله وبعد : فقد استعملت عن عالم أستفسره في أمر الحجاب الشرعي وكيف يمكن أن تخرج المرأة المسلمة بشكل يتلاءم مع هذا العصر وهذا المحيط ولا يتنافى مع جوهر الدين ؟ فأرشدوني إلى أن فضيلتكم طالبا جمعتم بين علمي الدين والدنيا ، لذا أرجوكم أن تجيبوني على أسئلتى هذه :

كيف كانت تخرج نساء المسلمات في صدر الإسلام ؟ وهل الحجاب إلا وليد عادات العباسيين في دور انحطاطهم ؟ .

ماذا لو خرجت المرأة المسلمة سافرة الوجه بدون زينة بوضع (إشارب) مع تبيان جزء بسيط من الشعر حيث أن عدم تبيان هذا الجزء البسيط من الشعر يجعل منظر المرأة المسلمة مستغربا وموضع استهزاء الأ كثرية الساحقة من الطبقة المثقفة المائلة وعنوان تأخر عندأ كثر الشعوب الراقية . بهذا أصبحت المرأة المحجبة تشمر بأنها دون غيرها قيمة وقدرأ مما جعلها تستصعب دينها إذ هو في الحقيقة فرض عليها الحجاب وتضع الحجاب رغما عنها دون عقيدة أو إيمان . فهل ديننا الحنيف يأمر بأن تكون المرأة المسلمة مثالا للرجعية والانحطاط ، وعدم الذوق أم يأمر بأن تكون قدوة

حسنة ومثالا للمرأة الراقية التي تضاهي نساء العالم شكلا وذوقا وتفوقهن أخلاقا وعفافا؟ .....

وفي الختام تفضلوا بقبول فائق الشكر والاحترام .

فلانة

من خمس

\*\*\*

وهذا رد فضيلة الأستاذ الزرقا الشافي على هذه الرسالة :

إلى الأخت الكريمة السيدة المصونة ( فلانة ) حفظها الله .

السلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته :

وبعد : فقد تلقيت رسالتك التي تسألين فيها عما إذا كان من الجائز في حكم الإسلام أن تخرج المرأة المسلمة بهذا المنديل الذي يسمونه اليوم ( إيشارب ) تلقيه على ناصية رأسها مع تبيان مقدم شعرها كي لا تكون موضع استهزاء لدى الأكترية الساحقة من الطبقة المثقفة ، وعنوان تأخر عند أكثر الشعوب الراقية ، ولكي لا تشمر بأنها دون غيرها قيمة وقدرًا مما يحملها تستصعب دينها إذ تكون مثالا للرجعية والانحطاط وعدم الذوق الخ... .

وقد تأخرت عليك قليلا في الجواب لكثرة مشاغلي ، والآن أختلس من وقتي ما أكتب فيه إليك هذا الجواب الموجز المستعجل ، ولعلّي أتمكن فيما بعد من التفصيل الذي يحتاج إلى بسط وتشریح وارتباطات بنواح لا مجال لاستيفاء إيضاحها الآن .

إن النصوص القرآنية تفرض على المرأة المسلمة لباسا ساترا محترما عند خروجها من بيتها :

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ، ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَنْ يَعْرِفْنَ فَلَ يُؤْذِينَ » .

أى أن هذا أقرب إلى تمييزهن عن غيرهن ومعرفة أنهن مسلمات بسبب حشمة ملابسهن وسترها كي لا يتعرض لهن الفساق طائنين بهن السوء لظواهرهن المريبة..



فالمرأة المسلمة يجب أن تكون ملابسها من الحشمة وستر المغان بحيث تعرف منه أنها مسلمة لأنها مستترة محتشمة غير مثيرة للأنظار والشهوات . وقال تعالى أيضاً : « وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .

والجيب هو فتحة صدر الثوب . فيجب أن يكون الخمار — وهو الذي يقنع الرأس من الجبين إلى القفا — طويلاً بحيث تزد فضلته على العنق وعلى فتحة صدر الثوب من الأمام كي يستر ما يمكن أن تبديه هذه الفتحة من صدر المرأة .

فلوريمث أيتها الأخت صورة لهذا اللباس الذي أوجبه القرآن على المرأة المسلمة ، ولا حظت معنى الجلباب وما فيه من استيعاب ، ومعنى الخمار وكونه ضافياً بحيث يكتفى لأن يرد على الجيب ويكمل من الستر ما لا يبلغه الثوب ، رأيت أن أصدق مثال اليوم لهذه الصورة التي حددها القرآن للباس المرأة المسلمة هو اللباس الذي تخرج به الراهبات المسيحيات بقطع النظر عن القبعة العالية التي يلبسها في رؤوسهن .

يتبين لك من ذلك أن إبداء المرأة شيئاً من مقدم شعر الناصية أو من الصدر أو من العنق أو من الزندين أو الساقين أو كشف الرأس أجمع كل ذلك حرام في دين الإسلام بمقتضى نص القرآن الكريم ، يضاف إلى ذلك ضيق الثوب أو رقيقته الشفافة بحيث يصف ما تحته من بدن المرأة شكلاً أو لونا .

وأما ما أنرت إليه من أن هذا التستر والاحتشام في ملابس المرأة المتمسكة بمجملها عرضة لاستهزاء الطبقة المثقفة الخ . . . فهذا لا يقام له وزن ، لأن الفضيلة فضيلة ولو استهزأ بها الجاهلون الجاحدون المنحلون . والإسلام دين دعوة إلى الخير والكمال يفرض حدوده التي يحمدها العقل والحكمة والحشمة في سائر الأحوال ولا يتنازل عنها أو عن شيء منها بحسب استعداد أهل الفساد ، ويوجب على أهل أن يبقوا في مستواهم الرفيع ويسعوا إلى رفع الفاسدين إليهم ، لا أن ينزلواهم إلى مستوى الفاسدين . وإلا فإذا صح لك أيتها الأخت الكريمة أن تجاري أهل الاستهتار في كشف شيء من الرأس إذا كانوا يرون خلافه من السترة المحتشمة قلة ذوق يسخرون منها . فإذا تقولين لو أصبحوا يرون من الذوق كشف الرأس كله ، وإظهار الزينة والفتنة الكاملة ، بل وكشف جانب من الصدر والأثداء وتعمية اليدين إلى الآباط كما درج

عليه فريق كبير من أولئك المتفقات أو المستهترات من الأسر الفنية البطرة ، ويسخرن ممن لا تفعل مثلهن من المحتشمات فهل ترين من الواجب عليك متابعتن في هذه الحدود كي لا تكوني في نظرهن عنوانا على قلة الذوق والتأخر ؟ بل ماذا تقولين لوعم أكثر مما بدأ اليوم شرب النساء للخمر في الحفلات ، ورقصهن مع الرجال الأجانب ، وأصبح هذا عنوان المدنية والذوق والفكر المتحرر والتقدمية الخ . . . ويسخرن منك إن لم تفعل ذلك فهل ترين من الواجب متابعتن ؟ إن قلت لا فما هو الحد الذي يجب أن تقفي عنده متى استسغمت ترك بعض الحدود الإسلامية مجارة لأذواقهن ؟ فمن الواجب الوقوف عند حدود الشرع الواضحة الصريحة ولا أقول لك أن تتبعمي رأي كل مترمت متشدد ، بل تمسكي بحدود القرآن والسنة الإسلامية الواضحة فهي الحجة ، ثم اتركي للناس فسقهم وفجورهم ، وتكن نفسك مطمئنة بأنك على هدى في محيط فاسد ، وأنت من الغبراء الذين قال فيهم الرسول عليه الصلاة والسلام : « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ ، فطوبى للغبراء » .

ويجب أن تعلمي أن الإيمان لا يقبل التجزئة . فخالفة أوامر القرآن الواضحة إن كانت عن استباحة فهي كفر والمياذ بالله ، وإن كانت عن ضعف في العزيمة تجاه الشهوات مع الاعتراف بالحرمة فهي معصية تختلف درجاتها بحسب درجة التحريم . ولو أردت أن تحاكي كثيرا من هؤلاء النساء المسترسلات في استباحة الشهوات والفجور إلى محكمة القرآن الحكيم لكان الحكم قاسيا جداً لأنهن يتمادين جداً . فاحمدى الله تعالى على أن رزقك زوجا يحرص أن يصونك من التردى في الهاوية التي يتردى فيها سواك . واحذرى أن تقبلي ذلك مكرهة غير مطمئنة النفس :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً » « يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحییکم » « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » .

وهذه رسالة من الأخ العزيز السيد عزت عزيزي يقول فيها :

لقد عودتنا مجلتكم الحبيبة أن تمرض دائماً لأم ما يواجهه العالم الإسلامي .  
والوحدة الإسلامية حلم زاود أذهان المسلمين وما زال يراودها ، ودعاة الفكرة  
الإسلامية دائبون على العمل لتحقيق ذلك الحلم الجليل و « المسلمون » من رواد  
هذه الدعوة المباركة .

لذلك سرنا أن بدأ الأستاذ محمد أبو زهرة بمحثة القيم عن الجامعة الإسلامية ،  
فتابعناه باهتمام ، غير أنني وقفت عند رأى له في هذه الجامعة إذ يقول بالمدد الأول  
من هذه السنة « على أننا لا نطالب بقيام دولة إسلامية بمعنى حكومة إسلامية  
واحدة ! بل نطالب بقيام وحدة إسلامية » . ويكرر الأستاذ هذا المعنى في المدد  
الثاني « فهو لا يريد أن يكون شكل الحكم واحداً في الأقاليم الإسلامية ولا يريد  
صهر الأقاليم الإسلامية في بوتقة واحدة » لكنه مع هذا « يريد وحدة الدول  
الإسلامية سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وثقافياً ، وأن تحكم كلها بالإسلام حكماً  
كاملاً » . فاما معنى الوحدة إذن من غير وحدة الدولة وكيف يتسنى لنا أن ندع كل  
رقعة من الوطن الإسلامي تحكم نفسها كما نشاء ثم نقول إننا نريد أن يحكمها كلها  
الإسلام وحكم الإسلام واحد في كل قطر وفي كل زمن ؟ .

ويخشى الأستاذ أن تقع التفرقة والتفكك في الدولة الواحدة الكبيرة إذ يسهل  
على الولاة الاستقلال بأقطارهم كما حدث في الدولة العباسية وما بعدها . إلا أن الأستاذ  
نفسه يبين علة ذلك بأنه إما من ضعف الخلفاء أو استبداد الملوك . فلماذا لا نطلب  
إذن بتقوية جهاز الحكومة المركزية — الخلافة — وإشراك الأقطار الإسلامية  
واتساع المجال لها كي تشترك بالحكم وبذلك ينتفى الضعف والاستبداد . ومع هذا  
فإن خروج دول من حلف أو اتحاد أسهل من استقلال وال بولايته أو حاكم  
بمقاطعته سيما إن وجدت الدولة القوية العادلة التي تحاسب الجميع . وختاماً أرى أن  
الخليفة الواحد بالدولة الإسلامية من أعظم مظاهر وحدتها ولذلك يقول صلى الله  
عليه وسلم : « إذا بويع خليفتين فاقتلوا الآخر منهما » . « رواء مسلم » ويقول أيضاً  
من حديث يرويه الشيخان : « ستكون خلفاء فتكثر قالوا فما تأمرنا ؟ قال :  
وفوا ببيعة الأول » .

من أجل هذا كله قام في نفسى شيء من الجامعة الإسلامية على هذا المعنى الذى أرادته فضيلة الأستاذ وأكون شاكرًا لو تكرم بإزالة ما علق بنفسى .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

\*\*\*

والمسلمون تشكر للأخ عزت ملاحظته الواعية ، وتنشرف بما بلى رد فضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبى زهرة عليها :

١ - قرأت تعليق الأستاذ عزت عزيزى على كلامنا فى الجامعة الإسلامية ، وقد قلنا إننا الآن فى أشد الحاجة إلى الجامعة الإسلامية ، وقصرت دعوتى على الجامعة وحدها ، ونفيت أن يكون مطلبى الآن الدولة الإسلامية ؛ وليس معنى ذلك أنى أطالب بمنمها ، ففرق بين المطالبة بمنمها والمطالبة بالاعتصار على المطلب القريب ، والهدف الواضح ، وإنى إذ أوافق الأستاذ على أن الوحدة الإسلامية التى تكون لها رئاسة واحدة هى المطلب الأنسى ؛ وهى التى دعا إليها النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبتت دعوته إليها فى الصحيح المأثور عنه صلى الله عليه وسلم - أصرُّ على أن يكون الهدف المقصود الآن تحقيق الجامعة الإسلامية بالمعنى العام ، لا بالمعنى الأخص ؛ ولعلم الكاتب الفاضل أن الخلافة بمنمها الأخص لا يمكن تحقيقها من غير تحقيق الجامعة الإسلامية أولاً - ففى السبيل لتحقيقها ؛ وإن الحكمة العملية ، والسياسة المنتجة توجب أن تتجه إلى الجامعة الإسلامية بالمعنى العام أولاً - ولا نريد اسماً لا مسمى له ، ولا مظهراً لا حقيقة له . لقد كان عندنا قبل الحرب العالمية الأولى اسم الخلافة الإسلامية ، ولم تكن الجامعة الإسلامية ، بل كان المسلمون بدولهم وآحادهم نهياً مقسوماً للدول الاستعمارية مع وجود اسم الخلافة ، إننا نريد المعنى أولاً ، فإن تحقق ، اخترنا الشكل بعد ذلك ، ونريد الحقيقة ، فإن ثبت اخترنا لها المظهر الذى نريده ، وفى هذه الحال نطبق الأحاديث النبوية بشكل يتفق مع الحقيقة ، ويكون ملائماً لروح العصر ، ولطبيعة الأقاليم الإسلامية وتباعد أجزائها ، واختلاف عادات أهلها .

٢ - إن المسلمين الآن موزعون فى الأرض من أقصى الصين إلى أقصى المغرب ، ومن شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها ، ونريد لهم وحدة ، فما السبيل إلى تحقيقها الآن بغير الجامعة الإسلامية ؟ إن المسلمين الآن دول مختلفة بعضها محكوم حكماً استبدادياً

وبعضها محكوم حكماً ملكياً غير مقيد ، وبعضها محكوم حكماً ملكياً مقيداً في الظاهر وغير مقيد في الحقيقة ، وبعضها محكوم بحكم جمهوري حقيقة ومظهراً ، وبعضها محكوم بحكم جمهوري مظهراً ، وهو في الحقيقة حكم الفرد بأدق ممانيه ، وهكذا — فإن قلنا في دعوتنا من الآن بالدولة الواحدة ، كانت معارضات ومقاومات من الذين سيذهب الاندماج الموحّد في دولة بسلطانهم ، فيكون النزاع بين دعاة الاندماج والممانين ؛ ومع النزاع في الإنشاء لا يمكن الإيجاد ، بل بثور جدل «يزنطى» لا يقرب غاية ، ولا يحقق مرجواً ، وعيننا أننا نثير الجدل بطلب المثل العليا قولاً ، لنقف في سبيل كل دعوة عملية ، مع أنها هي السبيل لتحقيق المثل العليا .

٣ — إن الجامعة الإسلامية تكون بتوحيد المسلمين اقتصادياً ، بحيث يتكون من العالم الإسلامي الحر كتلة اقتصادية يتحقق فيها الاكتفاء الذاتي ، ويتكون لنا استقلال اقتصادي نستطيع في ظله أن ننفذ أحكام القرآن .

ويكون مع التوحيد الاقتصادي التوحيد السياسي ، بحيث تكون الجامعة الإسلامية كلها يبدأ على من سوام ، فلا تكون واحدة منها منتمية لمعسكر سياسي ، وأخرى لمناقضه ، وتكون الجماعات الإسلامية في ذيل غير المسلمين ، ومحارب المسلمون بعضهم بعضاً لنصرة تلك المعسكرات التي لا تريد بالإسلام خيراً .

وزيد مع هذين وحدة ثقافية جامعة ، نحجي بها مآثر المسلمين ، ونقيم دعائم العلم الإسلامي ، وننشر المقبور منه .

وزيد مع كل هذا وحدة لغوية ، فتكون لغة القرآن هي اللغة الجامعة الرابطة بين المسلمين .

٤ — إذا تحققت هذه الماني ، وهي ما أرجو تحقيقه ، وظواهر الأمور تدل على أن ذلك قريب لو صحت المزائم ، فباكستان تريد إحياء اللغة العربية فيها لتكون لغتها السائدة ، والدول العربية قد تلاقى سياسياً في الجملة وبماضدها في سياستها أكثر الدول الإسلامية ! . والاقتصاد الإسلامي يتنادى به المسلمون ، فلم يبق إلا العمل ، وإن تحقق ذلك بعون الله وتوفيقه ، فإنني أرجو الأستاذ عزت عزي أن يتولى الدعوة إلى الخلافة الموحدة ، ولكن بعد أن تتوطد أركان الجامعة الإسلامية ، وترسو قواعدها ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

## بَابُ الْكِتَابِ : نَفْدٌ وَتَعَرُّفٌ

١ - أبو الحسن الأشعري ، للأستاذ الدكتور حموده غرابه  
المدرس بكلية أصول الدين بالأزهر ، ٢٠٠ صفحة ،  
نشر مكتبة الخانجي بمصر ، ديسمبر سنة ١٩٥٣ .

هذا بحث ممتاز صدر عن متخصص في موضوعه ، وهو تلميذنا بالأمس وزميلنا  
اليوم الأستاذ الدكتور « حموده غرابه » . فقد نال أكبر الدرجات العلمية من الأزهر :  
العالية من درجة أستاذ في الفلسفة وعلم الكلام ، ثم أوفد في بعثة إلى إنجلترا لحصل  
على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة « كبريدج » ، وهو الآن مدرس الفلسفة وعلم  
الكلام بكلية أصول الدين بالأزهر .

هذا واملنا نقرر الحقيقة إذا قلنا بأن كثيرا من فلاسفة الإسلام ومفكره  
لا يزالون في حاجة شديدة إلى من يحملهم : في أنفسهم ، وفي مذاهبهم التي تنسب  
إليهم ، وفي النهج الذي اصطنعه كل منهم في تفكيره ، ثم في مقدار تأثيرهم بمن  
سبقوهم وتأثيرهم فيمن جاءوا بعدهم .

وهذا عمل يحتاج إلى تضافر الجهود ، كما يحتاج من يقوم به في دائرة تخصصه  
إلى بحث وتنقيب ، وإلى عقل نافذ قادر على البحث العلمي الصحيح وعلى الموازنة  
والمقارنة والحكم . كما يحتاج هذا العمل ، مع ذلك كله ، إلى رغبة في الوصول للحق  
وحده وإن خالف قليلا أو كثيرا مما يراه السابقون .

وقد قصرنا ، نحن المشتغلين بالتفكير الإسلامي وأمواجه ورجالاته ، كثيرا  
في هذه الناحية ، حتى لقد سبقنا فيها المستشرقون ! لذلك نفرح كثيرا كلما ظهر  
في هذا الميدان بحث علمي يصح أن نفتخر به . ونعتقد أن البحث الذي بين أيدينا  
عن الإمام أبي الحسن الأشعري من هذا النوع الذي نرغبه ؛ وذلك لصدوره عن  
متخصص في هذا الموضوع ، وقد تهيأ له بدراسة عميقة لعلم الكلام ، ثم بما ظفر به  
من أدوات البحث العلمي الصحيح .



والكتاب ثلاثة فصول ، تكلم في أولها عن نشأة الفرق المختلفة في الإسلام ، وفي ثنائها عن الأشعري نفسه : حياته ومؤلفاته ومنهجه ومذهبه ، وفي الثالث عن الأشعري ومعارضيه من الفلاسفة ورجال الكلام . وكنا نود أن يضم لهذه الفصول الثلاثة ، فصلاً آخر عن أثره في الفلسفة وعلم الكلام على مر العصور حتى اليوم ، وإن كان قد تعرض لشيء من ذلك في تضاعيف البحث .

والقارئ للكتاب يلحس فيه ، من أوله إلى آخره ، شخصية الكاتب التي لم تتمتع في غيره من الذين تناولوا الأشعري بالكتابة والبحث ، سواء في ذلك المسلمون والمستشرقون ، وتلك مزية طبيعية نعرفها فيه منذ كان « طالب علم » بكلية أصول الدين . كما نلحس أيضاً حدة في مزاجه في نقد مالا يراه من آراء الغير ، وفي الطريقة التي بها يدعم رأيه ويدافع عنه بحق .

إنه في الفصل الأول ( ص ١٥ وما بعدها ) يدحض رأى المستشرقين حين يزعمون أن رسالة الرسول عليه الصلاة والسلام لم تكن عامة ، كما يبين بياناً شافياً بعض ما امتاز به الإسلام من خصائص ، رداً على ما زعمه « فنسك » الذي يرى أن الإسلام ليس له خصائص ذاتية تميزه كدين عن اليهودية والنصرانية ( ص ٢٠ ) . كما يرد بقوة في الفصل الثاني ( ص ٧٣ وما بعدها ) على ما يرجحه « فنسك » أيضاً من تناقض الأشعري وأنه كان ذا وجهين .

وفي هذا الفصل الثاني أيضاً ، نراه يخطئ المستشرقين عامة في اعتمادهم في تصوير مذهب الأشعري وفهمه على كتاب « الإبانة » وحده ، فقادهم ذلك إلى نتائج علمية أصبحت الآن في أشد الحاجة إلى المناقشة ( ص ١٣٢ - ١٣٣ ) . ثم أخذ بعد هذا في تفصيل هذا الإجمال ، وفي التدليل على ما ذهب إليه في الحكم على هؤلاء المستشرقين .

فإذا ما انتهى القارئ من هذين الفصلين ، يجد نفسه قد انتهى إلى الفصل الأخير ، وهو في رأي أهم ما في الكتاب لما فيه من موازنات ومقارنات . فهو يتكلم ( ص ١٣٧ وما بعدها ) عن « النهج » بين الأشاعرة والمعتزلة والفلاسفة ، ثم عن المسائل التي اختلف فيها الأشعري والأشاعرة مع أرسطو ، وذلك ليصل إلى

اختلافه مع المعتزلة فى صفات الله تعالى ، وهكذا يستعرض فى هذا الفصل المتع  
القوى سائر وجوه الخلاف الهامة بين مؤسس المذهب ومعارضيه على اختلاف ألوانهم .

إلى هنا ، نجد الدكتور « حموده » قد وقى تماماً بما نصب نفسه لبحثه ، معتمداً  
على كتابات الأشعرى نفسه أولاً قبل غيرها ، دون أن يهمل الرجوع لغيرها من  
المراجع الأصلية فى المسائل التى عالجها كما ينبغى عليها .

ولكن ، ويظهر أن هذا حرف لا بد منه فى التعريف بأى عمل علمى ونقده ،  
يبدو للقارئ أن هذا العمل العلمى كان يكون أكمل لو برى صاحبه من ملاحظات قد  
لا تتمثل بالموضوع أو النهج ، ولكنها مأخذ يجب ألا تمر بلا حساب .

نشير أولاً إلى إهماله مراجع البحث فى كثير من الموضوعات وهو يتكلم عن الفرق  
الإسلامية ( ص ٢٦ وما بعدها ) ، وعن سبب تحول الأشعرى إلى مذهب أهل السنة  
( ص ٦١ - ٦٢ ) وعن غير ذلك من المسائل التى تعرض لها فى بحثه .

ثم ، نراه قد اضطر لإيراد أسماء كثيرين من المستشرقين ، ومن هذه  
الأسماء ما لا يعرفها القارئ العربى الذى لا يعرف لغة أجنبية ، فكان الواجب  
أن يكتب هذه الأسماء بالحروف اللاتينية مع كتابة عناوين مؤلفات هؤلاء الأجانب  
بلغاتها الأصلية ، وهذا وذاك ما لم يفعله .

وهناك بعد ذلك ، أحكام - وهى قليلة بحمد الله - قد أرسلها إرسالاً دون  
حجج تؤيدها ، وهذا مثل قوله ( ص ٨٦ وهو يذكر أن كثيراً من المعتزلة  
كانوا فسقة ) : « والسلوك الطيب فى الحياة أثر من آثار القلوب العامرة بالمعاطف  
النبيلة ، وليس أثراً من آثار العقول الكبيرة المملوءة بالأفكار والفلسفة » ! ونظن  
أنه لا حاجة بنا لضرب الأمثال بكثير من المفكرين والفلاسفة أصحاب الأخلاق  
الطيبة والسلوك الحميد .

وأخيراً ، لقد أهمل إهمالاً شنيعاً علامات الترقيم ، مع أنها لا بد منها لفهم  
ما يريد الكاتب ، ومع أن كل ما قرأه بالإنجليزية من الكتابات لا يمكن أن يكون  
فيها هذا الإهمال من كتابتها ! ثم ، كنت أود ألا يقع فى استعمال كلمة « إمكانيات »

( ص ٧٤ ) فهي كلمة وافدة على مصر من بعض الأقطار الشرقية في هذه الأيام الأخيرة ، ومن اليسير أن نستعمل بدلها كلمة « طاقة » التي تفيد معناها تماما وقد جاء بها القرآن الكريم .

وبعد ! لن يسلم كتاب يكتبه بشر من أمثال هذه الملاحظات ، ومن حقنا أن نفتبط كثيرا بهذا البحث العلمي الجيد من كل نواحيه ، والذي حقق ما قصده مؤلفه من إعطاء صورة صادقة عن الأشعرى ومذهبه ، وتصحيح ما وقع فيه المستشرقون من أخطاء في فهم مؤسس مذهب أهل السنة . وزجو للكاتب المزيدي من التوفيق في البحوث العلمية ، فهو حرى بأن تتقدم به وبأمثاله من شباب الأزهر « العلماء الأحياء » الدراسات الإسلامية بعامة ، ودراسات فلاسفة الإسلام يومفكره بخاصة .

الدكتور محمد يوسف موسى

امتحان

امتحان أمير عربي ولده ليرى إذا كان يصلح للحكم بعده فسأله : إذا أناك خصمان فكيف تقضى بينهما ؟ فقال الولد : آخذ من مال الجيد وأعطى الرديء حتى يرضى فإن خيار الناس يتحملون الخسارة لأجل السلام العام .

فقال الوالد : هب أن كلا منهما رديء ؟

فقال : أعطيهما من مالى حتى يرضيا .

قال : فإن كانا جميعا صالحين ؟

قال : الصالحان لا يأتیان إلى القضاة ، بل يحكمان العقل بينهما .

فسر الأمير بابه ، وعلم أنه أهل للقضاء بعده .

# إِذَا بَدَأَ عَلَيْكَ حَقٌّ

بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه

- س ١ : سحابة كثيفة تموق البصر . لم يفلح فيها علاج .  
ج ١ : يمكن علاجها بترقيع القرنية من عين إنسان آخر بعد وفاته .

\*\*\*

- س ٢ : كثير الاحتلام بالليل . يخشى المرض وضعف الباءة عند الزواج .  
ج ٢ : الاحتلام الكثير دليل القوة الدافقة والعفة اللائقة بالمسلم ، فالحمد لله الذى أسبغ الصحة وأفرغ الفضيلة . تزوج فلا بأس عليك .

\*\*\*

- س ٣ : ضاقت بكثرة ما يخرج الزوج من الغازات .  
ج ٣ : أعدى له طعاما خاليا من الخضر النيئة ؛ وأعطيه أقراص الفحم .

\*\*\*

- س ٤ : حامل فى الشهر الثالث . يريدون أن يجهضوها لمرض القلب وهى تأبى الإجهاض . الموت عندها أهون من المقم وقلة الخلف .  
ج ٤ : إذا لم يكن بالقلب هبوط شديد يستعصى على العلاج المناسب والراحة التامة ، فاستمرار الحمل خير وأسلم عاقبة من الإجهاض .

\*\*\*

- س ٥ : جدته مريضة بالسكر والقلب ولكنها دأمة الحركة رغم نصيح الأطباء لها بالراحة .  
ج ٥ : ما دامت تلزم الأغذية والأدوية المناسبة فدعها تتحرك على قدر طاقتها فربما كانت الحركة أجدى عليها عن السكون .

\*\*\*

- س ٦ : مازال بدينا برغم الإقلال من الدهنيات والنشويات .  
 ج ٦ : قلل ملح الطعام وشرب السوائل ، واقنع في الفطور والمشاء بكوب من اللبن ، وواظب على ذلك شهورا .

\* \* \*

- س ٧ : ضعيف من قلة الغذاء . قيل له اللحم أنفع من الدواء . لا يجد ماينفق .  
 ج ٧ : أحل لكم صيد البر والبحر . وفي البيض والجبن واللبن والعدس والبقول والبقول وبعض الخضار ما يغني عن اللحم .

\* \* \*

- س ٨ : تاجر يصاب بنوبة ربو شديدة عند الغضب والغم والحزن مع أنه لا ينقطع عن دواء الأطباء .  
 ج ٨ : لا تغضب ، واصبر على ما أصابك ، وابتنع فيما آتاك الله الدار الآخرة . فذلك هو الدواء الشافي .

\* \* \*

- س ٩ : يشمر بالصداع والأرق وسوء الهضم والفتور مع أنه ميسر الرزق لا يعمل ، سليم الجسم لا يعرض ، ولا تنفعه العقاقير .  
 ج ٩ : هذه أعراض الفراغ والأثرة وقصر الفكر على سلامة البدن وهوى النفس . فاخرج من ضيق نفسك إلى سعة الحياة ؛ فاملاً فراغك بالعمل ، وفكرتك بما ينفع الناس ، ونفسك بالبر والمعروف ، وروحك بالإيمان والتقوى تجد الصحة والمافية .

# مع العارفين

صالح المري

[ ليس صالح قاصا ، إنه نذير قوم ]  
« سفیان الثوري »

قال الحسن :

« كنا يوما عند صالح المري ، وهو يتكلم ويمظ ، فقال لرجل حدث بين يديه -  
اقرأ يا بني ، فقرأ الرجل « وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين  
م للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » قطع عليه صالح القراءة وقال « وكيف يكون  
للظالمين حميم أو شفيع والطالب له رب المالمين ؟ ! إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل  
المعاصي يساقون في السلاسل والأغلال إلى الجحيم ، حفاة عراة مسودة وجوههم ،  
مزقة عيونهم ، ذائبة أجسامهم ، ينادون يا ويلاه ! يا ثوراه ! ماذا نزل بنا ؟  
ماذا حل بنا ؟ أين يذهب بنا ؟ والملائكة تسوقهم بمقامع النيران ، فرة  
يجرؤون على وجوههم ويسحبون عليها متكئين ، ومرة يقادون إليها عنتا مقرنين ،  
من بين بك وما بعد انقطاع الدموع ، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت .  
إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرا لا يقوم له بصرك ، ولا يثبت  
له قلبك ولا يستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك . . . » ثم قال « ياسوء متقلبا !  
وبكى وبكى الناس ! فقام شاب فقال : أكل هذا في القيامة يا أبا بشر ! قال نعم !  
والله يا ابن أخي وما هو أكبر من ذلك ! ! لقد بلنني أنهم يصرخون في النار حتى  
تنقطع أصواتهم فلا يبقى منها إلا كهيئة الأنين من المدنف . . . فصاح الفتى :  
إن الله ! واغفلناه عن نفسى أيام الحياة . . . وأسفاه على تضييع عمرى في دار الدنيا !  
ثم بكى واستقبل القبلة ثم قال - اللهم إني أستقبلك في يومى هذا بتوبة لك لا يخالطها  
رياء لنبرك ، اللهم فاقبلنى على ما كان منى واعف عما تقدم من على وأقل عثرى  
وارحمى ومن حضرنى ، يا أرحم الراحمين ، لك ألقيت معاهد الآثام من عنقى ، وإليك  
أنبت بجميع جوارحى صادقا بذلك قلبى ، والويل لى إن أنت لم تقبلنى . . . ثم غاب



فسقط منشيا عليه ، فحمل من بين القوم صريحا سيكون عليه ويدعون له . وكان صالح كثيراً ما يذكره في مجلسه يدعو الله له ويقول : بأبي قتيل القرآن !!

\*\*\*

هذا الضرب من التذكير قد يبدو نشازا بين أساليب عصرنا الحديث ، وهذا اللون من التأثر قد يبدو كذلك بعيدا ! وربما سهل على قارئ مثل هذه القصة أن يطوى صفحاتها ويفلق كتابها ويقول « حديث خرافة ونسج خيال ، وما أخرج الدين إلي أن يبرأ من أمثال هذه الشطحات ! »

ونحن معه في أن أكثر الكتب التي تناولت هذا النسق من القصص مملوءة بنسج الخيال ، ومعه في أن الدين يجب أن يُبرأ من أمثال هذه الشطحات ، وليس يمتينا ثبوت قصة « أبي بشر » بقدر ما تمنينا الزعة النافرة السرعة إلى تكذيبها دون تحرر وروية . . . ولا نحب أن نسميها زعة مادية لأنها كثيرا مالا تكون كذلك . ولكنها زعة متأثرة قليلا أو كثيرا بألوان الحياة التي نحيها ، متجهة مع تيارها تحاول تكيف الحقائق العليا والانصال بها وهي مندفة معه ، هذا إذا كانت الحقائق العليا تشغل بالها أو تخطر به ، وهنا تجد الحقائق عنيتها الكبرى . . . المحنة التي تشوه معالمها وتظلمها ، فإن حقائق السماء يجب أن تؤخذ كما هي ، وشأنها دائما أن تؤثر ولا تتأثر ، فإذا أردناها على ما نحب نحن ، لا كما هي من ذاتها ، وإذا حاولنا إخضاعها لأساليب عصرنا ولم نخضع لأسلوبها هي ، فإن النتيجة التي لا بد منها هي أن نتقطع عنها لأنها عزيزة ترفض الشراكة ، ويبقى مع ذلك واقمنا المختلط حجة عليها ، وهي بعيدة مظلومة ! ! خذ مثلا معنى الإيمان والاستقامة — آمن الأولون بالله واستقاموا ، وقلوبهم ملؤها الشوق إلى الجنة والخوف من النار ، وآيات القرآن تركى الشوق وتوجع الخوف ، وتذكر الجنة والنار على طول الكتاب وعرضه في صور رائعة جميلة وقاسية رهيبة ، والقرآن كتاب كل عصر ، والإنسان هو الإنسان في كل زمان . . . فإذا جاء زمان ظن فيه الناس أنهم بلغوا حدا من الفكر يجعلهم فوق الشوق إلى الجنة والخوف من النار . وتأثر بذلك الدعاة فاستحووا أن يعرضوا لهذه المعاني التي أصبحت لغة الدراويش لا لغة أهل العصر ، فإن هذه هي الهوة التي تقوم بين هؤلاء الدعاة وبين الناس ، ثم بين الناس

وبين ما يُدعون إليه ، فإن الله خلق الخلق وهو يعلم ما ينطوون عليه « ألا يعلم من خلق » ثم اقرأ بعدها « وهو اللطيف الخبير » ، وتأمل ذلك طويلا ، فهو حين رغب في الجنة ورهب من النار إنما رغب ورهب أنفساً يعلم وحده ما برأها عليه من الرغبة والرهبة ، ويعلم وحده استمدادها للانطلاق بها إلى الخير أو إلى الشر . وترغيبه وترهيبه سبحانه قائم على حقيقتين كبيرتين كالليل والنهار ، هما الجنة والنار ، ليس بين الإنسان وبينهما إلا سكرات الموت وهو آتية ، ثم القيامة وهي قريب !

إن العالم اليوم فزع من خطر الحرب ومن هولها حين تقوم . . . أينكر ذلك أحد ؟ أو ينكر أحد أن هذا الفزع مؤثر في سياسات العالم كله ؟ أرايت لو خافت الدنيا من النار خوفها من الحرب ، والنار أشد هولاً وعذاباً ، أما كان ذلك أدعى أن تستقيم سياستها على ما تتق به غضب الله وعذاب جهنم ؟ !

\*\*\*

وقال عفان بن مسلم « كنا نأتي مجلس صالح المري نحضره وهو بقصر فكان إذا أخذ في قصصه كأنه رجل مذعور يذعرك أمره من حزنه وكثرة بكائه . وكان شديد الخوف من الله كثير البكاء .

وروى بشر بن ميمون أنه سمع صالحاً يقول « وكيف تقر بالدنيا عين من عرفها . . . خليفة الماضين ، وبقية المتقدمين ، رحلوا أنفُسكم عنها قبل الرحيل فكان الأمر قريب نزل بكم » ويسمعه أحمد بن إسحاق الحضرمي يتمثل بهذا البيت .

وغائب الموت لا ترجون رجعتة إذا ذوو غيبة من سفرة رجعوا .  
ثم يبكي ويقول — هو والله السفر البعيد ، فتزودوا لمراحله ( فإن خير الزاد التقوى ) ، واعلموا أنكم في مثل أمنيتهم فبادروا الموت واعملوا له قبل حلوله . . .  
وقال سميد بن عامر « كان صالح المري يدعو : اللهم ارزقنا صبرا على طاعتك ، وارزقنا صبرا عند عزائم الأمور » .

وروى صالح عن الحوشب عن الحسن « تفقدوا الحلاوة في ثلاث — في الصلاة وفي القرآن وفي الذكر ، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا ، فإن لم تجدوها فاعلم أن بابك مغلق » .

وجئت الأصمعي أنه شهد صالحاً المري يمرى رجلاً في أبيه فقال له « لئن كانت

مصيبتك لم تحدث لك موعظة في نفسك ، لمصيبتك بأبيك أهون من مصيبتك في نفسك ، فإياها قابك .

\*\*\*

وأُسند صالح عن الحسن وثابت وقتادة وبكر بن عبد الله المزني ومنصور بن زاذان وقيس بن سعد وجعفر بن زيد وميمون بن سياء وغيرهم .  
قال صالح « سمعت الحسن يحدث عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل قال « أربع خصال ، واحدة فيما بيني وبينك ، وواحدة فيما بينك وبين عبادي ، وواحدة لي ، وواحدة لك . فأما التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا ، وأما التي لك فما عملت من خير جزيتك به ، وأما التي بيني وبينك فنك الدعاء وعلى الإجابة ، وأما التي بينك وبين عبادي ترضى لهم ما ترضى لنفسك » .

وروى عن جعفر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يؤتى بابن آدم يوم القيامة فيوقف بين كفتي الميزان ويوكل به ملك ، فإن ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا ! وإن خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق : شقى فلان شقاوة لا يسمد بعدها أبدا ! »  
وروى عن جعفر بن زيد وميمون بن سياء عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ما من صباح ولا رواح إلا وبقياع الأرض تنادى بعضها بعضا — يا جارة هل مرت بك اليوم عبد صالح صلى عليك أو ذكر الله ؟ فإن قالت نعم رأت لها بذلك فضلا » .  
وعن يزيد الرقاشي عن أنس أن الرسول قال « أربع من الشقاء — جود الدين وقسوة القلب والحرص وطول الأمل » .

وعن قيس بن سعد عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه » .  
ومن نفس الطريق عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « من سره أن يعلم ماله عند الله فليعلم ما لله عنده » .

وعن سعيد الجروى عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال « إذا كانت أمراؤكم خياركم ، وكانت أغنياؤكم سمحاءكم ، وكان أمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم ، وكانت أغنياؤكم بخلاءكم وكانت أموركم إلى نسائكم ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

# حَقَائِقُ عَنِ الْإِسْلَامِ

## تميز طبيعته وتدفع الشبهات عنه

( ٢ )

### ٣ - منهاج حياة كامل :

إن الإسلام يشرع للبشرية كلها نظاما عادلا كاملا غير مسبوق ولا ملحق . فهو في الوقت الذي يرفع فيه روح الإنسان ويكرمه ، وبأخذه بمبادئ أخلاقية مثالية ، لا ينكر أثر الواقعيات المادية في حياته ، ويضمن شرائعه مزايا متناسقا من المعنويات والماديات ، ومن التوجيهات الروحية والضمانات القانونية .

ومن ثم فهو ليس مجرد ديانة ، كالفهم من المقابل الإنجليزي لكلمة ديانة . إنما هو منهاج كامل للحياة البشرية بكل مقوماتها ، في عالم الروح أو في عالم المادة ، وفي ضمير الفرد أو محيط الجماعة ، وفيما يختص بالشاعر الفردية أو بنظام الحكم والدولة ، وفيما يتعلق بالعبادات أو المعاملات : اقتصادية كانت أم سياسية أم دولية . واصطلاحات : الدين والدولة ، والعقيدة والسياسة . . وما إليها - كما هي عند الغربيين لامتدول لها في المعجم الإسلامي . فاصطلاح « الدين الإسلامي » يشمل هذه المصطلحات كلها غير منفكة ولا منفصلة ، والمسلم يؤدي صلاته في المسجد ، ويصرف سلعته في السوق ، ويقضى بين الخصوم في المحكمة ، ويصرف أمور الدولة في الدewan ، ويمقد الماهدات والمواثيق مع الدول ، ويحارب باسم الحق والعدل في الميدان ... كل أولئك بروح واحدة ، ووفق شريعة واحدة ، وبوحى عقيدة واحدة ، في ظل نظام واحد . هو نظام الإسلام .

كل ما هنالك أن الإسلام يقيم هذا النظام الشامخ على أساس من العقيدة في الله ، وقيم الضمير المقعم بتقوى الله حارسا على التشريع والتنفيذ ، ويجعل صلة هذا الضمير بالله هي الضمانة الأولى لهذا النظام . . إن القوانين دائما يمكن الاحتياال عليها ، أما عين الله التي لا تنام فهي الحارس الذي لا ينفل ، ولا يجروء عليه محتال ! .

يقيم الإنسان نظامه على أساس من حساسية الضمير المراقب لله في السر والعلن ، وعلى أساس آخر هو الضمانات الاجتماعية والاقتصادية الوقائية التي أسلفنا الإشارة إليها . ويعتمد على ذلك الضمير وعلى هذه الضمانات أكثر مما يعتمد على الحدود والعقوبات .

#### ٤ - دفع شبهات :

ولكن الذين يجهلون حقيقة الإسلام ، يلقون بالهم كله إلى الحدود والعقوبات ويمنحونهما من الأهمية ما لا يمنحهما الإسلام ؛ فيحسن أن نعرض لها بشيء من البيان .  
نأخذ مثلاً حد السرقة :

إن كثيرين يشفقون من أن تصبح ونمسي - إذا نحن طبقنا النظام الإسلامي - فإذا عشرات الألوف من الذين يحكم عليهم في جرائم السرقة مقطوعو الأيدي .  
ولكن الإسلام غير ذلك ، فهو لا يأخذ الأمور جزافاً . ولقد أسلفنا بيان الضمانات الاقتصادية التي يكفلها الإسلام لكل من يظلمهم لوائه - مسلمين وغير مسلمين - فالآن نزيد أن الفرد الذي لا توفر له الدولة تلك الضمانات ، ولا تعطيه الجماعة ضرورياته الأولية ، يبيح له الإسلام أن يشهر السيف في وجهه من يحرمه هذه الضروريات ، ويبيح له أن يقاتل عليها . . . فإذا هو لجأ إلى السرقة ورزقه مكفول وحاجاته مكفية فهدد الناس في أموالهم وهدد الجماعة في أمنها ، فنحن نعتقد أنه من العدل أن يقطع الإسلام يده بذات السيف الذي سلمه له ليقا تل به مانعه ! فأما حين يسرق وهناك شبهة من جوع أو من غيره فلا يقام عليه الحد بحكم النظريات التشريعية والسوابق القضائية في الإسلام . وإذا ن فلن تقطع أيدي ألوف ولا مئات ولا عشرات . ولن يحد من هؤلاء السراق إلا من يسرق بلا شبهة ولا دافع ، وهم قليلون بل نادرون .

ولا ننسى أن الإسلام لا يرتكب غلطة القوانين الحديثة في مطاردة السارق بعد قضاء العقوبة ، وحرمانه حق العمل الشريف حتى يضطر إلى العود مرة ومرة ، ولكنه يفتح باب التوبة على مصراعيه له ، فإن تاب قبله المجتمع الإسلامي في

كثفه ، ويسر له وسائل العيش الشريفة ونسى لهزله التي حدّه عليها . كذلك يتكفل الإسلام بأطفال السارق المحدود وزوجته فلا يدعهم يشردون أو يتسولون كما تصنع قوانين الحضارة الحديثة !!

كذلك نأخذ حد الزنا :

إن كثيرين يشفقون من أن نصبح ونمسي — إذا نحن طبقنا النظام الإسلامى — فإذا عشرات الألوف ممن يرتكبون جريمة الزنا اليوم مرجوون إن كانوا محصنين أو مجلودون مائة جلدة .

ولكن الإسلام غير ذلك . فهو لا يأخذ الأمور جزافاً . إنما يزنى الزناة اليوم بهذه الكثرة الفاحشة لأنهم نتاج مجتمع فاسد مختل ، بعيد كل البعد عن طبيعة المجتمع الإسلامى . والإسلام كل لا يتجزأ ، ولا بد من إقامة مجتمع إسلامى سليم قبل تنفيذ حدود الإسلام .

ولقد أسلفنا أن الإسلام يكفل العمل لكل قادر ، فإذا لم يوفر له العمل تكفل له بالرزق من بيت المال ، وكذلك يتكفل له بالمعونة إذا أراد زوجة لتلبية حاجته الفطرية ، ولكف نفسه عن الشهوة المحرمة . وهكذا نجد أن الإسلام يزيل العقبات المانعة من النكاح الحلال ويقيم مجتمعه على هذا الأساس . فالآن زيد أن الإسلام ينشئ مجتمعا نظيفاً ، يأخذ كل فرد فيه بالتهذيب الخلقى والتربية الوجدانية ، ثم يمنع مثيرات الشهوة من الخمر والمرى والاختلاط الجنسى الفاجر ، والأفلام الداعرة ، والأغاني الخليعة .

ثم إنه يبيح تمدد الزوجات لمن لا يجدون فى زوجاتهم الكفاية من أى جانب ، بشرط الحاجة إلى ذلك والعدل الكامل بينهما ، كما يبيح الطلاق لمن فسدت حياتهم الزوجية فساداً عجز معه محاولات التوفيق بين الزوج والزوجة ، وهذا وذلك بدلا من اتخاذ الخليلات غير الشرعيات كما يقع فى المجتمعات غير الإسلامية .

وبذلك تنتفى الأسباب الطبيعية للجريمة ، والدوافع التى تنتج هذه الكثرة المخيفة فى المجتمعات التى لا تهتدى بهدى الإسلام .



نم يضاف إلى هذا كله اعتبار آخر هو أن العقوبة في الحقيقة إنما أريد بها أن تكون عقوبة مانعة لا واقعة . لأن إثبات الجريمة عسير ، لاشتراط أربعة شهود ، ريون القملي ، شهود رؤية لا مجال للشك فيها . وهو مالا يتيسر عادة . ولكن قسوة العقوبة مانعة للفعل ، رادعة عنه قبل ارتكابه .

كذلك يتحدث بعضهم عن مسألة تحريم الربا ، وعن مسألة الأقليات في ظل

### الحكم الإسلامي :

وما من شك أن الإسلام يحرم التعاملات الربوية تحريماً باتاً جازماً لا شبهة فيه . ذلك أنه أراد وقاية البشرية من الثمرات المرة التي تتجرعها اليوم من آثار النظام الربوي ، الذي قامت عليه اقتصادياتها في القرون الخمسة الأخيرة منذ بروز العهد الرأسمالي .

إن النظام الربوي نظام يصطدم بفكرة التكافل الاجتماعي التي يقيم عليها الإسلام نظامه الاجتماعي . فالمال إما أن يستخدمه صاحبه في الإنتاج عن الطريق الفردي ، أو عن طريق الشركات . وإما أن يقرض ما يفيض منه لأخيه في الإنسانية قرضاً حسناً ، ليأكل منه أو يتخذة للإنتاج . وهذا ما يتفق مع مبدأ التكافل الاجتماعي .

والنظام الربوي يظلم المنتج العامل في المال ، لأنه يجعله دائماً في وضع أضعف من وضع صاحب رأس المال . فصاحب المال يربح دائماً في جميع عمليات الإقراض ربحاً مضموناً والمقرض يربح ويخسر . . وبعملية رياضية تبين أنه بعد عدد كاف من مراتب التعامل على هذا الأساس يصبح الربح كله للمرابي ، ويذهب جهد المنتج بلا جزاء . وتكون النتيجة هي تكديس رؤوس الأموال في أيدي قلة من المرابين ، وتجريد معظم سكان العالم منه ، وجعلهم مجرد أجراء للمرابين ! .

وفي خلال القرون الخمسة الماضية كادت تتحقق هذه النتيجة المروعة ، والأموال في طريقها إلى خزائن المرابين القلائل في العالم كله . وما لم تحطم البشرية هذا النظام الفاسد الظالم ؛ فإنه سيأكلها أكلاً ، ويقدمها للمرابين المالمين لقمة سائمة . وهذا ما أراد الإسلام أن يحطمه منذ نيف وثلاثة عشر قرناً ، قبل أن تنتبه البشرية إلى هذه الأخطار .

ولا نتحدث عن الحروب الاستعمارية الناشئة من النظام الربوى ، ولا عن الخراب والدمار الذى يهدد العالم من حروب رأس المال . فحسبنا تلك الإشارات .

أما القول بأن النظام الربوى ضربة لازب ، وضرورة لا معدى عنها للاقتصاد العالمى فهو قول لم يعد مسلماً حتى عند الذين ابتدعوا النظام الربوى الحالى . إن الكتلة الشيوعية قد حطمت هذا الأساس ، كما أن ألمانيا كانت آخذة فى الاستغناء عنه قبل هزيمتها فى الحرب الأخيرة . وهو لا يسلم من النقد من بعض علماء الاقتصاد أمثال هيكس وشاكل وهارود .

وحين يصح العزم على إنقاذ البشرية من تلك اللعنة لن يجد الاقتصاديون استحالة فى إقامة الاقتصاد العالمى على أساس آخر ، يجعل الصلة مباشرة بين أصحاب المال والقادرين على الإنتاج ، عن طريق الشركات مباشرة ، مع استبعاد الوسيط — وهو المصارف — وجميع العمليات المالية القابلة للربح والخسارة ، وليست فيها فائدة ثابتة هى عمليات غير ربوية بقرها الإسلام . وفى السبيل إلى إقامة هذا النظام الاقتصادى السليم الحالى من ظلم الربا لا يمنع الإسلام أن تكون هناك فترة الانتقال اللازمة التى يهبط فيها أساسه ومقتضياته لأن الإسلام يرفض دائماً أن يؤدى القضاء على المنكر إلى فتنة أشد نكراً .

فأما مسألة الأقليات فقد حلها الإسلام منذ نيف وألف وثلثمائة عام . ولقد أسلفنا أن الإسلام حطم التعصب الدينى ، وفرض على المسلمين حماية حرية الاعتقاد وحرية العبادة للأقليات فى الوطن الإسلامى . وأقام بذلك مجتمعاً عالمياً مفتوحاً لكافة العقائد ولكافة الأجناس والمناصر . يدين فيه الجميع بمعتقداتهم دون إكراه ، ويزاولون ما يسمى اليوم « بالأحوال الشخصية » وفق عقائدهم ، ويتحاكون فيها إلى كتابهم — إذا شاءوا — أو يتحاكون مختارين إلى الشريعة الإسلامية حين يرونها أوفق لمصالحهم . والذى حدث أن الكثرة منهم اعتادت التحاكم إلى شريعة الإسلام وبخاصة فى الميراث .

وتبقى المعاملات . وهذه ليس للمسيحية فيها نصوص . كذلك كان الأخذ

بما تراه الأغلبية في مصلحتها واجبا : يأخذه المسلمون على أنه دين ويأخذه غيرهم على أنه قانون .

ولعله من الخير لهم أن يأخذه المسلمون على أنه دين ، لأن هذه الفكرة نمصتهم من الزلل في تنفيذه ، وعين الله الساهرة رقيبهم ، لآرهبه الحاكم التي يمكن التخلص منها في كثير من الأحيان .

\*\*\*

وبعد فهذا بيان إجمالي للأسس الإسلامية ، التي يعمل الإخوان المسلمون لإقامتها في الوطن الإسلامي . غير متقيدين بالحدود القومية والجغرافية ؛ فالوطن الإسلامي كله وحدة في نظر الإسلام .

والواقع أن الإخوان المسلمين لم يعودوا هيئة محلية في مصر أو في غيرها من البلاد الإسلامية الأخرى ؛ إنما أصبحوا عنوان فكرة : فكرة الإحياء الإسلامي العام ، وإعادة الإسلام للعمل في الأرض على هذه الأسس التي قام عليها بناؤه من أول يوم ، على يدى محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .

### الفتوح الإسلامية

لم تكن الفتوح الإسلامية فتوح استثمار وجباية ، وإنما كانت فتوح تحرير وهداية .

كانت فتوحا في الأرض للحرية والعمران ، وفتوحا في العقيدة للتوحيد والإيمان ، وفتوحا في الشريعة للحق والعقل ، وفتوحا في السياسة للإحسان والعدل ، وفتوحا في اللغة للأدب والبلاغة ، وفتوحا في العلم للإحياء والتجديد ، وفتوحا في الفن للابتكار والطرافة .

« أحمد حسن الزيات »

# فِافِ الْعِلْمِ الْإِسْلَامِيِّ

## \* رحلة فضيلة المرشد

### رحلة المرشد العام :

انتهت رحلة فضيلة الأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للاخوان المسلمين للأفطار العربية ، وعاد فضيلته في رعاية الله إلى الديار المصرية موفور الصحة والعافية .

وفيما عدا رحلات الإمام الشهيد رضوان الله عليه إلى الحجاز وزيارته الحافظة لدمشق وغزة ، يمكن أن تعتبر رحلة المرشد العام خطوة جديدة في نشاط حركة الإخوان ، فإنه على رغم الصلات الوثيقة التي تربط المركز العام بالقاهرة بمراكز الإخوان وبالجماعات الإسلامية في الأفطار المختلفة ، والرحلات الكثيرة التي يقوم بها مندوبو المركز العام في هذه الأفطار ، فإن الحاجة كانت شديدة إلى أن تنتقل قيادة الدعوة بنفسها إلى كل قطر ، وهذا الانتقال يفيد من نواح عدة : —

**أولها :** دراسة أوضاع كل قطر عن كثب ، وتذوق أجوائها مباشرة فإن العالم الإسلامي بأوضاعه الفاتحة وظروفه الراهنة لم يكتب بعد في كتاب ، ولا بد لدراسته من التنقل في أجزائه والاتصال بأهلها .

**وثانيها :** الاتصال المباشر بالعاملين للإسلام في كل بلد ، فإن الآصرة التي يبقدها اللقاء أوثق دائماً من غيرها ، وقد يقطع المتلافون باللقاء مسافة في التجاوب والتفاهم لا تقطعها المراسلة في سنين .

**وثالثها :** أن النفس الإنسانية مهما أوتيت من قوة الإيمان وفقه الإسلام تحتاج دائماً إلى مدد من الواقع يقوى أيمانها ويزيد فهمها ، ويعملها تلمس أثر الإسلام في كل مكان ، ومكان القوة في المسلمين ، ومواطن الصعف فيهم كذلك ، ومثل هذه الزيارة بما تحمله من مكانة الزائر الكبير واهتمام الناس به تكشف ذلك كله على نطاق واسع .

**ورابعها :** أن عالية الرسالة وإن كانت قاعدة تؤمن بها ولا تختلف عاينها إلا أن توزيع الجهود عملياً بين حاجات مصر وحاجات الأفطار المختلفة كان يخضع في الأغلب لجو مصر المحيط بالمركز العام ، والحجة في ذلك ولاشك واضحة وهي تقوية المركز وتوطيد الأساس وحدود الطاقة ولكن مثل هذه الرحلة سيكون لها من غير شك أثرها في تقوية الإحساس بحاجات هذه الأفطار وآلامها وآمالها وبالثروة السكرية التي تضمها الحركة الإسلامية فيها ، وقوة هذا الإحساس كفيلة — بتوفيق الله — أن تبث المهمة وتزيد الطاقة وتجعل عالية الدعوة تحطو خطوة عملية جديدة في تصور مشا كل الأفطار المختلفة وفي توزيع الجهود بينها توزيعاً عادلاً لا يظلم فيه الأساس ولا تنفل فيه شئ المراكز والفروع .

والحقيقة أننا في حاجة إلى أن ننظر إلى أوضاعنا دائماً من قة عالية ، وإلى أن نتضح أمامنا ( خريطة ) العالم الإسلامي حين نرسم سياستنا في أي قطر من أقطاره ، فإن الوحدة الحقيقية التي تربط هذه الأفطار تفرض ذلك ، ثم إن المؤامرة المحيطة بها جميعها تصدر في كل مظاهرها وألوانها

عن خطة واحدة ، وتوزع ضرباتها توزيعاً منتظماً يستفيد من كل تجربة ويستنز كل ساحة ، وإن سبعة مليوناً من العرب تجمعهم كلهم في منهج السياسة الاستثمارية ككتان : « الشرق الأوسط » بل لقد صارحنى بعض الساسة الأمريكيين أن « الشرق الأوسط » يعنى عندهم في الحقيقة سائر الأقطار الإسلامية إلى أندونيسيا ، وهذا يكشفه لك عن طبيعة التفكير الذى يوجه السياسة الأمريكية .

فلى المسلمين وهم يواجهون هذه المؤامرة — العالمة — أن يواجهوها كلا لا يتجزأ وأن يفتحوا لها عيناً فى كل ناحية ، فإن ذلك أعون لهم على فهم اتجاهاتها ، وبمعلمهم أقدر على شل قواها .

**وفاهمسرها :** أن حركة الإخوان وإن اختلف الناس فى اعتبارها النبع الذى صدر منه هذا الومى الإسلامى فى العالم كله فإنهم لا يختلفون فى أنها كبرى الحركات القائمة وأرسخها أساساً وأوسعها تجربة ، وفى أنها أصبحت الأمل المرموق للمسلمين جميعاً ، ومن حق المسلمين على الإخوان أن يلقوا عنهم ثمرة تجربتهم وعصارة وعيهم والإشراف السكريمى التى زكمتها عناية الله والأحداث فيهم ، وقيادة الإخوان هى الأمانة على ذلك كله ، وذات الكلمة المسموعة فيه .

**والناتمة السادسة والأخيرة :** ، وهى وإن تأخرت فى ترتيبها إلا أنها مقدمة فى أهميتها ، قضية فلسطين ، فإن زيارة فضيلة المرشد العام للخطوط الأمامية كان لها آثارها السكيرة . منها اطلاع فضيلته بنفسه على الحياة التى يحياها المرباطون وبسالهم رغم البؤس الأليم الذى يدانونه ، وعلى المول الذى يعيش فيه اللاجئين . ومن الشعور المجيب الذى بعثته الزيارة حتى بين مخيمات اللاجئين النساء ، والذى تجلى فى هتافاتهم ودموعهم وحرارة استقبالهم وتوديعهم فى كل مكان ، فإن قائد الإخوان يمثل عندهم حركة جادة تعنى ما تقول ، وحجتها بين يديها فى شهادتها على طول المنطقة من رفح إلى بيت المقدس . ومن التوجيه العملى الذى صرح فضيلته الناس به قبل أن يترك القدس ، وهو أن الذى يقاسى حرارة السكفاح هم أهل القرى الأمامية وحدهم ، أما من وراؤهم من أهل المدن الأخرى فإنهم لا يزالون مقصرين فى حقهم ولا يزالون يأكلون ويعربون وينامون ملء الجفون كأن الأمر لا يعنىهم ، مع أنهم أولى أن يحسوا بالمطر ويتحملوا تبعاته قبل أن يتوقعوا ذلك من العرب والمسلمين . ومن : خروج المرشد من الأردن متأثراً بكل ما رأى وسمع وحرسه على تذكير الناس به فى كل بلدة زارها وفى كل اجتماع تحدث فيه ؛ ومن المبارات التى ترددت على لسان فضيلته أن قضية فلسطين هى قضية الإسلام الأولى وأن المرباطين على الحدود لا يدافعون فى الواقع عن قراهم وحدها والسكنهم يدافعون فى الحقيقة عن دمشق وبغداد والقاهرة وبيروت ومكة والمدينة وسائر عواصم العالم الإسلامى . وإن مساعدتهم بالمال والسلاح فرض على المسلمين .

\*\*\*

ولنا فى غنى من التحدث عن الحفاوة العجيبة التى قوبل بها فضيلته فى المملكة العربية السعودية والمملكة الأردنية الهاشمية ولبنان وسوريا ، فقد تناقلتها الصحف فى حينها ، ولسكننا نحب أن نؤكد الحاجة إلى أن تمتد مثل هذه الرحلة فى المستقبل لتشمل مختلف الأقطار الإسلامية .

## Start My Dear

This is the way, quite simple and clear. It is now up to you, brother, to make the start, humble though the start may be, but do not hesitate to BEGIN my dear. With the help of God, you can do a lot if only you are serious and true. Decide and repent. change bad companions and search for a good group in the light of these high ideals. When you have made the start you shall not fail to find many like yourself devoted to such ideals, and scattered like flowers in your society.

If these words, humble but rising from the depths of my heart, succeed to convince you to go ahead with a strong belief and a firm resolution, then I shall have reaped all their fruits.

### تنبيه ورجاء

- ١ - ترجو إدارة المجلة من حضرات المندوبين والوكلاء أن يشكروا كل منهم - مشكوراً - بإرسال ما لديه من حساب اشتراكات العام الثالث .
  - ٢ - كما ترجو ممن يرغب في تجديد اشتراكه للسنة الرابعة من حضرات القراء أن يبادر إلى ذلك حتى يتسنى للمجلة الاستعداد للعام الجديد .
  - ٣ - لا زال باب الاشتراك مفتوحاً للنصف الثاني من السنة الثالثة لحضرات المشتركين في نصف السنة الأول ولم يجددوا اشتراكاتهم .
- « الإدارة »



brother's sufferings in any part of the Muslim World. After a deep slumber in the Middle East we could see Muslims prepared like anything to sacrifice their lives in Palestine and we have already seen what wonders could the volunteers perform before the mysterious politics interfered to bring about their sad tragedy. I will never forget it: a young man of nineteen years woke up to pray Fajr in the cantonment at Jerusalem dancing with joy. We asked him the reason of such happiness. He replied, "I have seen my bride and residence in the paradise." We took it as a joke till it was 10 o'clock in the morning when we were informed that the lucky boy had been killed in the battle and through martyrdom had gone to greet his bride in his heavenly residence.

### Who To Lead

That is the question I am often asked when I insist that the time is ripe when the leadership of the world must come once again in the hands of the Muslims if only they approach their God with a sincere devotion. But such a question I always consider as a pretext for shirking duty. Islam is always direct and practical. The moment we know that the time demands a thing and Islam enjoins it, we should not hesitate in doing it. If a thing is to be done, it must be done. If there is some one to lead us he is welcome from the bottom of our hearts and we are to him most obedient soldiers he ever dreamt of. But if such a leader does not exist then I must lead myself, you must lead yourself, we must supplement each other and exert ourselves to the utmost in order to complete ourselves. And here dear Brother, let us shed away our weakness vacillation. There is nothing which only if you want to do, you cannot do. Who were the followers of our Prophet, (peace be on him), before starting their Jihad? Definitely they were not better placed than yourselves. Who was Bilal Ibn Rabah? A slave in Mecca..... Who was Ali Ibn Abi Talib? A boy of nine years..... Who was Usamah Ibn Zaid? A youngman of nineteen, illiterate and poor. It was Islam that enkindled their hearts and purified their beings. It was the passionate devotion to Truth that polished their minds, developed their talents and enabled them to surmount all obstacles.

That is how those who were but insignificant in the beginning came eventually to captain the whole earth.

# WHAT ARE YOU ?

*By the Editor*

— 9 —

Let us, dear brother in Islam, hold this lamp with the help of God to show the right path to the bewildered humanity. The world to-day knows too bitterly that leadership of the West instead of bringing a progressive era of peace and prosperity has succeeded only in accentuating the conflicts of mankind in tearing man away from man and in making confusion worse confounded. All the pretence of culture and the show of civilization serve only to emphasise the rottenness of the Western standard as well as the bankruptcy of the Western Nations to solve the problems of man. What is justice if it means something before the courts of New York, London, Paris and Moscow whereas it is senseless in Palestine, North Africa-Hyderabad & Kashmir. What is the value of social character when it refuses to be honest beyond the frontiers of one's own country or beyond the limits of one's own interests. Why raise such cries against exploitation when your only purpose is to exploit ? And what is the basis of peace when conflicting fancies and lusts are the real dominating factor in the International Politics ? How can peace stand ?

## This Earth Has A God

This Godlessness must come to an end. This savagery must be fettered with Divine hands. This darkness must be dispersed with a new Divine Cry. "This Earth has a God."

Such a cry if cleanly offered will be granted by millions of hearts stifled everywhere. Seven hundred million Muslims spreading their wings from Tanja in the west up to Indonesia and far back in the East are prepared despite all their diseases to hear a fresh sincere, voice full of belief, calling on them. "Back to God again Muslims everywhere." The prophetic light has still its roots deep down into the hearts of Muslims: only it has grown a little faint and scattered in the Muslim World. Yet we continue to see it in mosques, in meetings, in towns and in villages. In every country there is a large number of Muslims who weep when they are reminded of God, of their ancient glory or of their

## فهرس السنة الثالثة

### أولا : الموضوعات

- ت -

- تركيا : ٢٠١  
تصحيح الجهاد : ٦٥٤  
التصوف والأخلاق : ٤٧٩  
تغير الأحكام بتغير الأزمان : ٧٩٠  
تونس المجاهدة « شعر » : ٩٥٤

- ث -

- ثورة الحنين « شعر » : ٦٣١

- ج -

- الجامعة الإسلامية : ٩ ، ١٢٣  
الجهاد : ٥٥٢ ، ٦٥٩ ، ٧٦٣  
جواب الإسلام على المسألة الشيوعية : ٧٢٩

- ح -

- حامل العطور : ٧٢٦  
الحجاب : ٢٩٨  
الحج أيها المستطيعون : ١٠٠٧  
حسن البناء يطلب بحكم الإسلام : ٢٤٢  
حصار ربع قرن في حقل الدعوة الإسلامية  
بالشام : ١٤٩  
حقائق ثلاث : ٧٥٦

- حقائق عن الإسلام : ٩٥٦ ، ١٠٦٤  
الحقوق الشخصية والشرعية وقانون  
العقوبات : ٤٠  
حول السياسات الاقتصادية : ٧٢ ، ٤٨٧ ،  
٧١٦

- حول الكعبة : ١٠٢١  
حين يصدق الحاكم : ٣٣٢

- خ -

- خاطرة : ٥٣ ، ١٤٠ ، ٢٥٠ ، ٢٥٦ ، ٤٦٦ ،  
٥٥٨ ، ٦٨٣ ، ٧٩٨ ، ٩٠٦ ، ١٠٣٦  
خصائص قيادة الأنبياء : ١٠٩

- ١ -

- الآثار العلمية للمذاهب : ٤٦٧  
اتجاهات الفلسفة الإسلامية : ١١٨  
أخلاق المسلم والمسلمة : ٨٧٣  
إذا هبت ربيع الإيمان : ٥٩٩  
الأسراء والمعراج : ٤٤٤  
الأنس الروحية في الإسلام : ٨٩٨  
الإسلام على مفترق الطرق : ٦١٣  
الإسلام والعلاقات الدولية : ٤٧ ، ٢٦٥  
أصحاب الفار « قصة تمثيلية » : ٧٠٧  
اقتصاد أعرج : ٢٨٩  
أبنايا المسلمة : ٧٤٢  
الى الحب والعاطفة : ٦٨٤  
امام : ١٧٠  
أمل : ٦٤٩  
الامة الواحدة : ٦٩٢  
انت : ٨٦٥

- انتفع بتجارب الدعوة : ٧٠٤  
ان لبدنك عليك حقا : ٨١ ، ١٨٦ ، ٣٠٤ ،  
١٠١٢ ، ٦٢٤ ، ٨٣٦ ، ٩٤٩ ، ١٠٥٨  
أواصر الجماعة المؤمنة : ٢١٧  
أيها المخلصون : ٢٩٩ ، ٤٩٦ ، ٦٠٥

- ب -

- باب الكتب : نقد وتعريف : ٨٥ ، ١٨٨ ،  
٣٠٥ ، ٤١٩ ، ٥١٤ ، ٨٣٨ ، ٩٤١ ، ١٠٥٤  
برنامجنا الاقتصادي : ٥٧٧ ، ٦٩٦ ، ٨٣٠ ،  
٩٣٢ ، ١٠٣٧  
بريطانيا واليهود : ٨٢٢  
بين الدين والطائفية : ٩٨٨  
بين الصورة والحقيقة : ٧٩٩  
بين قوتين : ٨٩٥  
بين النصيحة والتشهير : ٨٨٢  
بين يدى العام الجديد : ١

- ف -

- الفقه الاسلامي : ١.٢٨  
في افق العالم الاسلامي : ٢.٨ ، ٩٧ ، ٢١٤ ، ٤٢٣ ، ٥٢٣ ، ٦٣٧ ، ٧٤٥ ، ٨٥٥ ، ٩٦٣ ، ١.٧٠  
في ظلال السنة : ١٤١ ، ٢٥٠ ، ٢٥٧ ، ٢٨٤ ، ٤٥٣ ، ٦٧٢ ، ٧٧٥

- ق -

- القائد الفاتح الاحنف بن قيس : ٥.٥  
قداس كنيسة الأرواح : ٩٧٢  
قلم التسجيل : ٦٦١

- ك -

- كارتة فلسطين : ٢٧٤ ، ٣٧١ ، ٤٨٢ ، ٥٧٣ ، ٦٧٨  
كرامة الانسان وشرفه : ١.٢٤  
كلمة صغيرة : ١٩٣ ، ٣٧٧  
كيف نستعيد مجد الاسلام ؟ : ٢٨٩

- ل -

- لبنان : ٨.٥

- م -

- ما هو الاسلام ؟ : ٥٦٤  
مدنية الاسلام : ٢٤٠  
مسجد وشنطن : ١٧٨  
المشرك الاول «قصة تمثيلية» : ٢٧٩  
مع الحركة الاسلامية : ٣٢٥  
مع العارفين : ٨٩ ، ١٩٥ ، ٢.٩ ، ٥١٨ ، ٦٢٧ ، ٧٣٧ ، ٨٤٥ ، ٩٥١ ، ١.٦٠  
معالم رئيسية في سياسة اقتصادية اسلامية : ١٧٣ ، ٤٠٦ ، ٥٩٢  
من اخلاق النبوة : ٥٤٨  
من فقه عمر في الاقتصاد والمال : ٣٧٩  
من فقه القرآن والسنة : ٣٥ ، ١٥٧ ، ٢٥٦  
من فقه الكتاب : ١٢٢  
من ملامح هذا الدين : ١٥٥ ، ٢٧٢ ، ٩١٦  
من نماذج البطولة في الاسلام : ١٠.١  
مولد النور «قصة تمثيلية» : ٦١

- خطوط في شريعة الاسلام وحكمه : ٩٢٤

- د -

- داء المسلمين ودواؤهم : ٨٦٨  
داعية : ٢٩٥  
دروس من ذكرى الاسراء : ٥٤١  
الدستور الخالد « شعر » : ٦٣٢  
دستور الفرائب : ٤٩٩  
الدعاية الاسلامية : ٩٨١

- ر -

- رسالة مفتوحة الى جلالة الملك سعود : ٨١٤  
رسالة من اوسا : ٥٢٥ ، ٦٣٣  
رسالة من محمد أسد : ٢٤  
- رس -

- سبحات فكر : ٥٧١ ، ٨٢٧ ، ٩٣٠ ، ١.٤٥

- ش -

- الشرق الاسلامي في دور انتقال : ٥٤ ، ١٣٣  
الشرق العربي من حرب عالية الى اخرى : ٨.٨ ، ٩.٧ ، ١.١١  
شهيد : ٣٥١

- ص -

- صحة اهل الريف : ٤١٣  
صفحات من الادب السياسي : ٧٨٠  
ضوءوا تصحوا : ٧٢١  
- ط -  
الطريق الى مكة : ١٦٢ ، ٤٧٤ ، ٩١٨  
طريقان : ٧٨٧

- ع -

- العقيدة : ٣٦٥  
العلوم والسنن الالهية : ١١٥ ، ٢٢٩ ، ٣٢٩  
على الباب « شعر » : ٥٢٢  
العودة : ٩٤

- غ -

- غار نور : ٩٩٧  
الغزالي مفكر جامع : ٧٨  
غزوة تبوك : ٤٣٣

- و -

الوقت هو الحياة : ٢٢

- ي -

يا ابني : ٢٤٣

يا بنتي : ٢٦

يا مسلمون ... «شعر» : ١٩٨

اليهود في القرآن : ٢٢٢ ، ٢٢٤

- ن -

نحو تطبيق الشريعة : ٨١٦

نموتنا : ١٧٩ ، ٦١٩ ، ٩٤٧ ، ١٠٤٧

نظام رباني : ١٥ ، ١٢٩

- ه -

هذا القرآن : ٥

هكذا لقي الله «قصة تمثيلية» : ٥٨٤

Facts About Muslim Brotherhood. . . . .	Copy : 4. 5. 6. 7
Humanity Needs us. . . . .	: 1. 2.
The Obstacles in Our Way. . . . .	: 3.
What Are You. . . . .	: 1. 2. 3. 4.
What Islam Means To Me. . . . .	: 6. 7. 8. 9. 10
	: 8.

## ثانيا : الكتاب

- ح -

حسان تحتوت : ١٩٨

حسن البنا : ٣٣ ، ٢٦١ ، ٣٤٢ ، ٤٧٩ ،

٦٩٢ ، ٧٨٧ ، ٨٩٥ ، ١٠٢١

حسن الهضيبي : ٥

- ز -

رضا زادة شفق : ٧٨

- ز -

زكي محمود شبانة : ١٧٣ ، ٤٠٦ ، ٥٩٢

- س -

سيد قطب : ١٥ ، ١٢٩

- ش -

شوكت وهبي الالباني : ٧٤٢

- ص -

صبحي محمدي : ٩٢٤

- ع -

عبد البديع صقر : ٧٠٤

عبد القادر غودة : ٤٠

- ١ -

ابو الاعلى المودودي : ٢٩٨

ابو الحسن الندوي : ٥٩٩ ، ٦٨٤ ، ٧٩٩ ،

١٠٢٤

ابو نعمان المهاجر : ١١٥ ، ٢٢٩ ، ٣٢٩ ،

٥٤٨

احمد النافذ : ٨١ ، ١٨٦ ، ٣٠٤ ، ٤١٣ ،

٥١٢ ، ٦٢٤ ، ٧٢١ ، ٨٣٦ ، ٩٤٩ ، ١٠٥٨

احمد مظهر العظمه : ٣٨٩ ، ٩٩٧

- ب -

بهي الخولي : ٣٧٩

- ت -

التحرير : ١ ، ٢٤ ، ٥٣ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٠٩ ،

١٢٢ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٥٤ ،

٢٠١ ، ٢٠٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٤ ،

٣٢٥ ، ٣٣٢ ، ٣٥٦ ، ٣٩٩ ، ٤٢٣ ، ٤٤٣ ،

٤٦٦ ، ٤٩٦ ، ٥١٨ ، ٥٣٣ ، ٥٥٨ ، ٥٦٠ ،

٦١٩ ، ٦٢٧ ، ٦٣٧ ، ٦٤٩ ، ٦٨٣ ، ٧٣٧ ،

٧٤٥ ، ٧٥٦ ، ٧٩٨ ، ٨١٤ ، ٨٤٥ ، ٨٥٠ ،

٨٥٥ ، ٨٦٥ ، ٩٠٦ ، ٩١٦ ، ٩٤٧ ، ٩٥١ ،

٩٥٦ ، ٩٦٣ ، ٩٧٣ ، ١٠٣٦ ، ١٠٤٥ ،

١٠٦٤ ، ١٠٧٠

محمد بهجة البيطار : ١٠٧	عبد اللطيف محمود رحال : ٦٢٢
محمد فسياء الدين الريس : ٥٤ ، ١٢٢ ،	عبد الله كنون : ٢٤٠
٢٧٤ ، ٢٧١ ، ٤٨٢ ، ٥٧٢ ، ٦٧٨ ، ٨٠٨ ،	عبد الوهاب حمودة : ١٤١ ، ٢٥٠ ، ٣٥٧ ،
٩٠٩ ، ١٠١١	٢٨٤ ، ٤٥٣ ، ٦٧٢ ، ٧٧٥
محمد فتحي عثمان : ٨١٦ ، ٨٢٨	عبد الوهاب عزام : ٥٧١ ، ٨٢٧ ، ٩٣٠ ،
محمد فؤاد ابراهيم : ٤٩٩	١٠٤٥
محمد محمود الزبيري : ٦٣١	على الطنطاوي : ٢٦ ، ١٤٩ ، ١٩٣ ، ٢٤٣ ،
محمد معروف الدواليبي : ٤٦٧	٣٧٧
محمد يوسف موسى : ٣٥ ، ٨٥ ، ١٥٧ ،	على احمد باكثير : ٦١ ، ٢٧٩ ، ٥٨٤ ، ٧٠٧ ،
١٨٨ ، ٢٥٦ ، ٣٠٥ ، ٣٦٥ ، ٤١٩ ، ٤٦١ ،	عمر بهاء الدين الامري : ١٧٠ ، ٢٩٥ ، ٣٥١ ،
٥١٤ ، ٥٥٩ ، ٦١٧ ، ٧٧٠ ، ٨٨٨ ، ٩٤١ ،	عيسى عبده ابراهيم : ٧٢ ، ٤٨٧ ، ٧١٦ ،
٩٩٣ ، ١٠٥٤	
محمود أبو السنود : ٢٨٩ ، ٥٧٧ ، ٦٩٦ ،	— م —
٨٣٠ ، ٩٣٢ ، ١٠٣٧	محب الدين الخطيب : ٥٠٥
محمود جعفر الجبالي : ٧٢٦	محمد البهي : ١١٨
محمود حسن اسماعيل : ٩٤ ، ٥٢٢	محمد أبو زهرة : ٩ ، ١٢٣ ، ٢٣٢ ، ٣٣٤ ،
م . س : ٥٢٥ ، ٦٣٢	٤٤٤ ، ٥٥٢ ، ٦٥٩ ، ٧٦٣ ، ٨٧٣ ، ٩٨١ ،
مصطفى احمد الزرقا : ٥٦٤ ، ٧٩٠ ، ٨٩٨ ،	محمد أسد : ٢٤ ، ٣٦٢ ، ٤٧٤ ، ٩١٨ ،
١٠٢٨	محمد الأسمر : ٩٥٤
مصطفى الحفناوي : ٤٧ ، ٢٦٥	محمد البشير الابراهيمي : ٦٥٤ ، ٨٦٨ ،
مصطفى زيد : ٩٤٣	محمد خلف الله : ١٠٠١
مصطفى السباعي : ٥٤١ ، ٧٢٩ ، ٨٨٢ ،	محمد المبارك : ٧٨٠
٩٨٨	محمد بن عبد العلي الحسنی : ٦١٣



## أخي الفاري....

السلام عليكم ورحمة الله

ولعلك بكل خير وعافية

وبعد : فهذا هو العدد الأخير من عام المجلة الثالث بين يديك ، ولعلك لو علمت ما لقيناه هذا العام من جهد وعنت لاشفقت علينا ، ولشعرت معنا بنعمة الله على (( المسلمون )) ورعايته لها ... فقد نشأت وليس في يد صاحبها (( رأس مال )) يتاجر به ، إلا التوكل على الله فيما اعتزم من سد ثغرة كبيرة في مجال الدعوة والتوجيه إلى حقائق الإسلام الرفيعة . وأعلن عن المجلة وليس في دارها مكتب ولا كرسي ، ثم جاءت الاشتراكات فكانت الزاد الحلال المبارك للمشروع العزيز . وولدت المجلة تحمل روحا محبة لا فضل لأحد فيها ، ومستوى كريما لا فضل لكذلك لأحد فيه ، ومضت - والفضل لله وحده - لا تزداد الا قوة في مادتها واقبالا من الناس عليها ، حتى تجاوزت اصدااء العاطفة والتقدير من زوايا العالم الإسلامي كله ، ولقد كنا نتلقى في الوقت الواحد من جنوب افريقيا واقصى اندونيسيا وبلادالريف رسائل تفيض بالحب والثقة والامل ، فلا نجد لها جوابا الا دمة الشكر لله ان قد تقبل عملا يعلم هو وحده اننا لم نعتد فيه الا عليه ولم نقصد به الا مرضاته ، والا ان نلقاه بوجه ابيض ونفس مطمئنة ...

ومضى العامان الاول والثاني ووارد (( المسلمون )) يكاد يواجه نفقاتها ، لا عن قلة في المشتركين فهم والحمد لله يتضاعفون ، ولكن لمعاكسات الاستعمار التي جعلتنا نصر على تصدير المجلة إلى بعض الاقطار كتونس والجزائر ومراكش رغم حيلولة السلطات دون وصولها احيانا لتنغير المشتركين، ودون وصول قيمتها اليها لتشتبطن عن تصديرها ثم ان ظروف بعض الوكلاء في اقطار اخرى لم تمكنهم من تحصيل الاشتراكات في حينها، هذا إلى جانب العدد الضخم من (( الهدايا )) التي لا تتحملها مجلة غير (( المسلمون )) لاعتبارات كثيرة لا بد منها .

وجاء العام الثالث وحدث اثناء مايعلم الأخ القاريء ، وتكاثرت العقبات فلم تزدنا الا توكلا على الله ، وتأخر صدور بعض الاعداد لما لا قبل لنا بدفعه ، ولكننا نرجو ان يكون تأخرا في الوقت وحده - لم تتخلف معه المجلة عن مستواها الذي ظلت والحمد لله مثابرة على تقويته من يوم نشأت ، ولعلها كانت هذا العام اوسع خطى في تحقيق رسالتها وتجلية مراميها .

وبعد ايها الأخ القاريء ، فانك لا تزال المسئول عن (( المسلمون )) في نفسك وانت تقرا : ان تعمل بما فيها من خير ، وان تنصحنا ان رايت فيها شيئا غير ذلك ، ومستول عنها بعد ان تقرأها في مجتمعك الذي تعيش فيه : ان تبلغ رسالة الخير حيث كنت ، وان تضم إلى اسرة (( المسلمون )) من تستطيع ممن يتصلون بك .

والله من وراء القصد ، وهو وحده المستعان .

والسلام عليكم ورحمة الله

أخوك في الله

ميرزا

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## محتويات العدد العاشر

صفحة	
١	قداس كنيسة الأرواح ... رئيس التحرير ...
٩	الدعاية الإسلامية ... لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة ...
١٦	بين الدين والطائفة ... الأستاذ الدكتور مصطفى السباعي ...
٢١	الانحراف عن العقيدة ... الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ...
٢٥	غار ثور ... الأستاذ أحمد مظهر العظمة ...
٢٩	من نماذج البطولة في الإسلام ... الأستاذ محمد خفاف الله ...
٣٥	الحج أيها المستطيعون ! ... الأستاذ محمد بهجة البيطار ...
٣٩	الشرق العربي من حرب عالمية إلى أخرى ... الأستاذ الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس ...
٤٩	حول الكعبة ... للإمام الشهيد حسن البنا ...
٥٢	كرامة الإنسان وشرفه ... لساحرة السيد أبي الحسن الندوي ...
٥٦	الفقه الإسلامي ... لفضيلة الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا ...
٦٤	خاطرة : أكلة لحوم البعير ...
٦٥	برنامجنا الاقتصادي ... الأستاذ محمود أبو السعود ...
٧٣	سبحات فكر ... الأستاذ الدكتور عبد الوهاب عزام ...
٧٥	ندوتنا ...
٨٢	باب المكتب : نقد وتعريف ...
٨٦	إن لبدنك عليك حقا ... بإشراف اللواء الدكتور أحمد الناقه ...
٨٨	مع العارفين : صالح المري ...
٩٢	حقائق من الإسلام ...
٩٨	في أفق العالم الإسلامي ...
	What Are You ? ... By the Editor ... ١
١٠٣	أخي القاري ... رئيس التحرير ...
١٠٤	الفهرس ...